تركي بن سليمان

كوفيديات

مقالات نقدية ساخرة لبعض الظواهر الاجتماعية
ومناقشة قضايا أخرى

اســـم الكتـــاب: كوفـيديات
التـأليـــــــف: تركـــــي بـــــن ســـــليمان
مراجعـــة لغويـــة: ســـواح للخـــدمات عبـــر الإنترنـــت
إخـــراج فنـــي: عمـــــرو ســـــالم ســـــواح
رقـــم الإيـــداع: 2020/ 17914
التـــرقيم الـــدولي: 978-977-835-211-5
الناشـــــــــر: زحمـــة كتـــاب للنشـــر والتوزيـــع
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر
Facebook
Email za7ma-kotab@hotmail.com
Tel 002 01205100596
002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار زحمة كتاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل
من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

كوفيديات

مقالات نقدية ساخرة لبعض الظواهر الاجتماعية

ومناقشة قضايا أخرى

تركي بن سليمان

turki.zamim@hotmail.com

1441-2020

شكر وتقدير

لكل عائق واجهته . . .

لقد أضفت إليَّ كثيرًا !

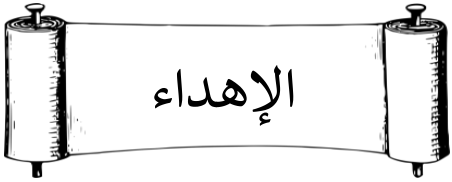

إلى الروح الكبيرة التي أحملها معي في داخلي
أينما ذهبت

ابنتي الصغيرة التي لم أُنجبها لكن الله أنعم
بها عليّ، الطاهرة ميسم

إلى من صَبرتْ على انشغالي المتواصل عنها،
وعاتبتني مِرارًا على التهائي وشرودي

أهدي هذا الكتاب.

المحتويات

الإهداء 5

المقدمة 9

كوفيديات ١٢

من أسباب النفور.. وكورونا ١٣

عينة من الغباء في مواجهة الوباء ١٥

نعمة البصل ١٧

صَباح الهمّ ٢٠

نعمة البلوى ٢٣

التباعد الاختراعي ٢٧

التباعد الاقتصادي ٢٩

التباعد الانطباعي ٣١

ثقافات ٣٣

ثقافة موظف ٣٤

ثقافة المناشدة ٣٦

ثقافة التملُّق ٣٨

غرائب وعجائب ٤١

مفارقات ٤٢
لماذا تجري؟..... ٤٥
هرمون الأنوثة ٤٧
الكامل في كيفية إذلال العامل..... ٥١
على أبواب وزارة الإسكان ٥٤
فنون.. في الضحك على الذقون ٥٦
"اللي ما يدرب.. يتفرج"..... ٥٨
أساليب القنص بالصورة والنص ٦٠
التجارة بالبشر.. أو البقر ٦٢
تطوع.. لوجه الله!..... ٦٥
محنة التخصص..... ٦٨
معضلة التلقين لعشرات السنين..... ٧١
مصارحة ٧٣
قضايا..... ٧٧
مشاهد من بلاد الملاحد..... ٧٨
التسلُّط العائلي..... ٨٤
لماذا نخاف الديموقراطية؟ ٨٩

قضية المرأة ٩٢
الصفاقة الإلكترونية ٩٩
الغِشُّ المُباح.. لجلب السُّيَّاح ١٠٢
الرد المجاني على ادعاءات القحطاني ١٠٥
يا لكَ من حمار ١١٢
مصدر التعاسة ١١٥
Minimalism ١١٨
الفلسفة الكلبية ١٢٤
صفقة القرن ١٢٨
مآرب أخرى ١٣١
تعريفات الوباء ١٣٢
حوار مع شاب عربي عن الوطن ١٣٧
ظبي ١٤١
وَرَع ١٤٤
بِجامة ١٤٨
صابرين ١٥٠
خاتمة ١٥٤

مُقَدِّمَة

رب ضارة نافعة

لم أكن أتصور أني سأكتب لأنشر كتاباتي قبل زمنٍ غير بعيد؛ لم تستهوِني فكرة الكتاب العلنية، وما كنت أجد ما أكتب فيه، أو خُيِّلَ إليَّ ذلك، لانصباب تركيزي الكامل على الدراسة والعائلة وبعض الأنشطة التنموية.

وأول ما استحث همتي كانت تلك التكاليف الجامعية التي تتطلب استعراضَ الفنون الكتابية، والمقالية بخاصة.

لكن الثالث من مارس ٢٠٢٠ كان له رأي آخر، عندما توقفتْ الحياة الخارجية برهةً من الزمن؛ تنفيذًا لقرار العاهل السعودي للبقاء في المنازل للحد من تداعيات انتشار الجائحة العالمية "كوفيد ١٩"، حينها تفرغتُ بصورةٍ كاملةٍ للقراءة والكتابة، فكتبت المقالات والقصائد، وولجتُ في كل بحرٍ أبحث عن الذات.

وبدأتُ تدريجيًّا في نشر ما أكتب من خلال إحدى الصحف الإلكترونية، على الرغم من شعوري الداخلي بأن ما أكتبه ليس هذا مكانه، وبعدم جدوى هذه الوسائل. لكن غلبني تطلعي إلى منصةٍ أنشر من خلال بوابتها، مع أنني ما كنتُ مداومًا على الكتابة، بل كنت تاركًا الأمر للمقادير والظروف، وتقلبات المزاج.

ولم أمضِ طويلًا حتى استكتبتني أخرى، وبعد تجربةٍ قصيرة، رأيتُ أن هذه الوسيلة لا تستحق اهتمامي وما لها من جداء، إذ إن القائمين عليها ليسوا أهل فكرٍ وثقافةٍ كما كنت أتوقع، فاقتنعتُ تمامًا بعدمية الفائدة الراجعة من هذه المجهودات، لكثرة المحاذير والخطوط الحمراء الوهمية التي لا أحترمها، ولأسبابٍ كثيرةٍ ليس هذا محل ذكرها، فرأيت أن أتوقف عن النشر وأصب اهتمامي نحو أمكنة أخرى تعود عليَّ بالنفع.

والحقيقة، أني حين ذاك وضعتُ هدفًا لنشر كتاب بعد بضع سنين يضم ما قد كتبت إلى حينه، وعلى غير عادة الأهداف التي أنويها، تحقق الأمر بطريقة دراماتيكية دون سابق تخطيط بأسرع مما تأملت.

والفضل هنا يعود بعد الله إلى أحد الرفاق، عندما أوقد شعلة ذلك الأمل لمَّا سألني مشكورًا: لماذا لا تجمع مقالاتك وتنشرها في كتابٍ جامعٍ لها؟

فمنحني وهو لا يدري الفكرة التي جعلتني أحشد قواي كلها لأبلغ مقر الضوء الذي أضاء لي في آخر النفق.

وللمصارحة، أنا لا أعد هذه التجربة التي تأتي في وقتٍ مبكرٍ من العمر اختبارًا حقيقيًّا، بل هي بالنسبة إليَّ محض تجربةٍ إن كُتب لها التوفيق ستمنحني الدافع الذي أواصل به التحسُّن والتطوُّر والمُضي قدمًا إلى الأمام

وإن لم يُكتَب، سيكفي شرف المحاولة

أحبتي، لا أريد الإطالة وأيضًا لا أريد تركككم قبل أن أوضح لكم كيف حدث هذا الأمر دون تمهيد

أدعوكم الآن لأضع بين أيديكم وأمام أعينكم بعضًا من المقالات التي عرضتُ فيها نقدًا لمجموعة من الإشكاليات الاجتماعية بصورةٍ ساخرة، وناقشت جادًّا بعض القضايا المهمة، راجيًا من الله أن أكون قد وُفِّقتُ فيها

فاربطوا الأحزمة

وكل عام وأنتم بخير

*****

کوفیدیات

من أسباب النفور . . وكورونا

شكا إليَّ أحد الأصدقاء القدامى في جلسةٍ وديةٍ نفور زوجته منه، وأنها لا تمكث بجانبه قليلًا حتى تولِّي مسرعة، متحججةً برنَّة الهاتف أو بأن الأكل سيحترق

ولأنني "مُدَبِّرجي" الشلَّة سابقًا، ومؤلف كتاب "التدبير في كل موقفٍ خطير"، أخذت في صمتٍ مُطرق أبحث عن ماهية الأسباب التي قد تؤدي إلى تنافر زوجين لم يمضِ على زفافهما عامٌ واحد

استرجعت شريط الذكريات لأقف على أهم ملامح شخصية صديقي التي يمكنني من خلالها استنباط الخطأ الذي وقع فيه، فتذكرت أنَّ له ماضيًا مُثيرًا، إذ إنه كان يجيد لعب دور الشخصية البوهيمية الفوضوية غير المكترثة بالحدود المجتمعية ودومًا ما خرقها غير مُبالٍ بها

من هنا بدأت أمسك بطرف الخيط..

ففي بداية الأمر، لاحظتُ أن صديقي يرتدي الملابس نفسها التي ارتداها في آخر مباراة كرة قدم لعبناها معًا في ساحة الحارة الرملية

قبل ستة أعوام، وأذكر أننا هُزِمنا يومها هزيمة نكراء تطأطأت على إثرها الرؤوس وامتلأت الأعين بالدموع

لا علينا؛ هذا ليس مهمًّا

بدأت تدريجيًّا أنتبه إلى أنه يملك شاربًا كبيرًا مترامي الأطراف، يتدلى بصورة مخيفة على الشفة العلوية نزولًا إلى شَفَتِه السُّفلى، ناهيك عن كثافة اللحية، التي يُقال إنه حَرَّم أن تَمسَّها أداة حلاقة بعد أن هُزِمنا في آخر مباراة لعبناها معًا.. قبل ستة أعوام!

قطع حبل تأملاتي حينما رَفعَ الصديق يَده مُمسِكًا فنجان القهوة ليرتشف منها ما يُهدِّئ بهِ قلقه، فكانت الصدمة أن أظافر صديقي المسكين طويلة جدًّا، داكنة السواد، في ثناياها بلايين الجراثيم والأتربة، رأيت بينها كورونا صغيرًا يبتسم ويلوح لي بيده

لم أحتمل ووقفت بسرعة فائقة مُخرِجًا الهاتف من جيبي، وقبل أن يسأل: إلى أين؟ أجبته بعد أن ابتعدت بمسافة لا يمكنه مساسي فيها:

الهاتف يرنّ، ألم تسمع؟ وليس الأكل الذي سيحترق هذه المرة

بل أعصابي! سلام

عينة من الغباء في مواجهة الوباء

"إنَّ صرف ملايين الدولة إعلاميًّا في سبيل التوعية يُعدُّ هباءً منثورًا إن لم تلتزم بالإرشادات، أيُرضيك؟"

هذه إحدى المحاولات لإقناع صديق لعلَّهُ يلتزم بالتعليمات الصادرة من الهيئات الصحية، ويكفينا شره!

فهو بحسب مفهومه الخاص، إنَّ أخذ الاحتياطات مِن قفازات لليد ومُعقِّم، يعد تشكيكًا في مدى شجاعته ورجولته، فما بالك في مسألة البقاء في المنزل كالنسوة؟!

كان يصر على أن الموضوع يمس الكرامة، وقد يدنس اسم القبيلة التي دومًا ما حاربت في الصفوف الأولى الاستعمار الأجنبي والأعداء

فباءت محاولاتي كلها بالفشل، لأن شرح ماهية الفيروس لهؤلاء القوم يعد ضربًا من ضروب تضييع الوقت

فهو لا ينظر إلى المسألة كوباء عالمي وفيروس قاتل أصغر من أن تراه بالعين المجردة وينتقل سريعًا ليرديك ميتًا

بل على النقيض، يراه فارسًا ظاهرًا في أرض المعركة يخرج له يبارزه بالسيوف اتقاءً للعيب ودحرًا للمنقصة، لا يؤثر فيه تزايد أعداد الإصابات والوفيات، لذا يخرج غير مكترثٍ مجاهدًا في سبيل الشيطان

ما زلتُ أذكر جيدًا آخر لحظاته، كانت كلماته الأخيرة قبل أن يخرج مخالطًا المرضى في الأسواق حاملًا منهم المرض عائدًا به إلى أهله الذين لم يكن لهم ذنب سوى العجز عن ردعه:

إذا لم يكن من الموت بُدٌّ

فمن العجزِ أن تموت جبانًا

رحمه الله، كان أشجع الأغبياء!

خاتمة:

"لا شيء في العالم أخطر من الجهل الخالص والغباء المتعمد"

- مارتن لوثر كينج

نعمة البصل

قرأت مساء البارحة في إحدى الصحف المحلية انتحار وزير مالية ألماني بسبب قلقه البالغ من انتشار مرض فيروس كورونا، إذ عُثرَ على جثته بقرب خط السكة الحديدية

ومثل هذه الأخبار تجعلك عزيزي القارئ تحمد الله على أمرين شديدَي الأهمية

الأمر الأول: نعمة الإيمان بالله وبالقدر خيره وشره، ومَن تذوق حلاوة الإيمان، والرضا بمقادير السماء عَرَفَ حقًّا كيف يودع السكينة والطمأنينة بقلبه

الأمر الثاني: نعمة البصل!

فبحسب إحدى رسائل الواتساب التي استمعت إليها وأنا كاتم غيظي وضحكي، تقول امرأة في رسالة صوتية إن تقطيع البصل ووضعه في زوايا الغرفة يمتص خلايا الفيروس ويقضي عليه، وأنها اكتشفت ذلك بعد موقفٍ شاهدته شهد العيان في قديم الزمان، حينما انتشر فيروس مشابه لفيروس كورونا وقضى على أهل القرية كلهم إلا بيتًا واحدًا، وعندما ذهبوا إلى ذلك البيت وسألوا أهله عن السبب، أجاب الناجون بمعجزة البصلة إن تقطيع البصل إلى

شريحتين من المنتصف مع الإبقاء على التصاق الورقة الأخيرة ووضعها في زوايا المنزل كان السبب الرئيسي لحفظ أهله والانتصار على هذه النازلة

وقبل ذلك، سمعتُ من إحدى النساء على الواتساب أيضًا أن الحبة السوداء تقضي على كورونا "واحدة بواحدة"!

وأظن أن هذه المرأة التي تنشر مثل هذه الخزعبلات، إما أنها تمتلك سلسلة من المحلات لبيع البصل والحبة السوداء وتسعى إلى احتكار السوق، وإما أنها تعيش في كوكبٍ موازٍ غير كوكبنا هذا

والغريب أن هذه العينات تجد كل التسليم والتصديق من معشر النساء والويلُ كل الويل لمن يُكذِّب هذه الرسائل!

فهو بالطبع غِرٌّ صغير لا يفقه شيئًا

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا:

أين منظمة الصحة العالمية من الكوادر النسائية الواتسابية؟

ألا يجب استقطابهن والتعاقد مع أجود مزارع البصل حول العالم لإنقاذ البشرية؟

أم سنظل غافلين عن هذه الوصفات الشعبية المجربة ونكون كما

قال الشاعر:

كالإنس في المأساة يقتلهُ الوبا

والبصل في مطابخهِ مركونُ؟

على كل حال

كل يوم أتأكد من صحة مقولة ويليام روكول الذي قال في مقدمة كتابه "القارة الضائعة":

"لا توجد فكرة سخيفة لم يَقُلها فيلسوف، ولا توجد خرافة واحدة لم تصدقها أو تروج لها امرأة"

صَباح الهمّ

استيقظتُ في الصباحِ الباكرِ على زقزقة العصافير ومنظر الملاك النائم في سكونٍ بجانبي، أعددت الإفطار لنأكل معًا، وكعادتي أحضرت الصحيفة لأقرأ كنوعٍ من التسلية والإحاطة بالمستجدات وتنشيط الأعصاب، أو حرقها

في الصفحة الأولى ظهر لي مانشيت بالخط العريض:

"الإصابات في ازدياد.. ومئات الوفيات"

تعوذت من الشيطان وسألت الله الرحمة والسلامة

وفي الصفحة نفسها وجدت:

"ترامب يُهدد ويُدين الصين"

أنحيت بصري حفاظًا على أعصابي وضغط الدم لئلا يثوروا، ثم انتقلت إلى باب المقالات وأنا أرتشف القهوة، وأول ما استقبلني مقال بعنوان:

"هل هذه الحرب العالمية الثالثة؟"

فورًا تقيأت ما في جوفي من قهوة، مستعيذًا بالله من هذه الأخبار والتكهنات الغريبة المريبة، التي لا تدل إلا على موت وخوف وحرب ودمار!

ألقيت بالصحيفة في القمامة وأكملت الإفطار رويدًا، حتى صفا ذهني

فبدأت أسمع صوت الهاتف.. رسائل لا تتوقف، لعله خير

فتحت الهاتف واتجهت إلى مصدر الرسالة.. الواتساب

لا بد أن أحدًا قَلِقٌ عليّ

نظرت، إذ هي المجموعات، صديقٌ يرسل:

"القبض على مواطن من الطبقة الكادحة لمخالفة حظر التجوال، وتغريمه ألوفًا مضاعفةً في أثناء ذهابه لشراء الخبز"

أُتمتم بأسى: لا حول ولا قوة إلا بالله!

انتقلت إلى رسالة أخرى.. رابط ينقلني إلى تويتر، وهناك أرى طلابًا جامعيين ثائرين، محتشدين في ترينداتٍ تويتر، يتذمرون من سوء تقدير الأساتذة للاختبارات الإلكترونية، وآخرين في جموعٍ غفيرةٍ

يطالبون بإعدام إحدى المشهورات لإساءتها إلى حديثٍ نبويٍّ كريم

أُتمتم بحزن: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون!

أغلقت الهاتف وبرمية سلام دانك ألحقته بالصحيفة في قعر القمامة وفي داخلي صوت يلومني ويقول:

الملاك الذي أمامك أحقُّ أن تُبصِره، وأطفالك الذين حولك أولى بأعصابك المهدورة

نعمة البلوى

"لكل شيءٍ في هذه الحياة جانب سلبي وآخر إيجابي"

قالها ذلك الصيدلي وهو يحاول إخفاء ابتسامته، في حين كان يناول أحد الزبائن الخائفين من الوباء مُعقِّمًا وعددًا من الكمامات بأربعة أضعاف سعرها المعتاد

قلت في نفسي: يبدو أن في هذه الأزمة كثيرًا من المستفيدين، هذا أولهم!

ثم خرجت أقود مركبتي وأنا أُقلّب المسألة في رأسي

هل حقًّا مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ؟

هل إغلاق المساجد وتخبط الاقتصاد العالمي، وحالات الإصابات المتزايدة يوميًّا التي أدَّت إلى حالة غريبة من الفزع البشري، وفراغ محلات القهوة المختصة من عشاق اللاتيه الذين يلتقطون لها الصور أكثر مما يشربون، يعود بالفائدة على أحدهم؟! على مَن إذًا؟

أول ما بدا لي وجه صديقي النصراوي الذي دافع باستماتة لإلغاء مسابقة الدوري لهذا الموسم، متحججًا بانتشار المرض، وذلك كله لئلا يُتوَّج به الهلال، فمن المعلوم أن فوبيا الهلال أشدُّ فتكًا على النصراوي من أي كورونا!

أما الطلاب فصيحات أفراحهم أكبر وأعلى من أن تُخفَى مهما حاولوا إنكار ذلك، ولهم العذر

فتوقف الدراسة النظامية وإحالتها إلى بديل إلكتروني أراح كثيرًا من الطلبة من تَسلُّط بعض الأساتذة المنتسبين إلى العلم وهو منهم براء، فهي راحة من مجالسة الثُّقلاء كل صباح

ومكوث النساء في جناتهنَّ أضاف إلى الشوارع ومحلات التسوق رونقًا خاصًّا، فأصبح المرء يقضي حاجته بغير عناء لبقاء تلك الأفواج محبوسة

والحق كل الحق أن الفائدة الحقيقية من كل أزمة تمر علينا في هذا الوطن الشامخ هي التكاتف وحجم التفاني في التضحيات حكومةً وشعبًا، واستشعار حجم المسؤولية، والعمل الدؤوب أفرادًا وجماعات في نشر الوعي ومحاربة النوازل، كل ذلك يجعلك تفتخر حقًّا بهذا الوطن المتين

نسأل الله أن يديم على أوطان الإسلام والمسلمين الأمن والأمان وأن يحفظنا بحفظه

قدْ ينعمُ اللهُ بالبلوى وإنْ عظمتْ

ويَبْتَلي اللَّه بعضَ القَوْم بالنعَمِ

تباعد

التباعد الاختراعي

"ألو، ألو، لا أسمعك... طوط طوط طوط"

كانت آخر ما قاله موظف البلدية لي مع وجود أصوات أطفال يلعبون حوله، وعلى الرغم من صوتي المبحوح الناجم من تعلية صوت الصراخ لمحاولة جعله يسمعني، فقد التمستُ له العذر لمَّا أحسستُ أنني اتصلت في وقتٍ عائليٍّ غير مناسب!

ابتدأ ذلك اليوم عندما قررت اصطحاب الأبناء والخروج معهم للتنزُّه لإزالة الترسبات السلبية الناجمة عن العزلة الإجبارية الكوفيدية الطويلة

حطَّت رحالنا في إحدى الحدائق العامة، إذ هي مكانٌ مناسبٌ لمثلي من الكادحين، فقضينا الساعات الأولى في اللعب، مع التحذيرات المتكررة للأطفال بالابتعاد عن كل عنصر بشري داخل الحديقة

ارتفع صوت المؤذن معلنًا الحق مزهقًا الباطل بكلمات التوحيد، التي رآها عبد الله بن زيد وصاح بها بلال: الله أكبر، الله أكبر... حي على الصلاة...

إلى هذه اللحظة لا يوجد ما يثير الانتباه، أو الحنق، حتى توجهت إلى دورات المياه للوضوء، ورأيت ما رأيت، وما علينا وعليكم ذلك بغريب، إذ إنها صفة ملازمة لحمامات المرافق العامة حتى بتنا نستغرب إن دخلناها يومًا ولم نشاهدها بتلك الهيئة

عزمت الأمر على الاتصال برقم البلدية الموحد للإبلاغ عن المخالفة، لأننا -كما يُقال- رجل الأمن الأول، وبعد الرد الآلي الذي أبلغني بالانتظار لِسِت دقائق، انتظرت عشرين دقيقة وكان يتبادر إلى ذهني في دقائق الانتظار التي ملأتها بالاستغفار أن موظفي خدمة العملاء كلهم لم ولن يختلفوا عن بعضهم، وبعد الحسبلة والحوقلة، أجاب الموظف ليقول: سمِّ أخوي

فذهبت بروحٍ تملأها الغيرة على مقدرات الوطن أسرد له المشكلات، قاطعني -سامحه الله- وأنا أستمع إلى صيحات الأطفال يلعبون من حوله ليقول: "ألو، ألو، لا أسمعك"، ثم أغلق الخط!

في وجه رجل الأمن الأول

التباعد الاقتصادي

مع تطبيق قرار زيادة ضريبة القيمة المضافة إلى ضِعفَي حجمها الأول، أُرغِمَ كثيرون وهم مجبرون على تنفيذ نظام التباعد الاقتصادي

أي: الابتعاد عن شراء كثير من الحاجيات اللازمة، لا سيما الأغراض المنزلية والمواد الغذائية

فكان مني الإذعان والإعلان عن فك الارتباط بمنتجات المراكز التجارية كلها، وبات البيت يومها حزينًا، وافتقدَت المطابخُ اللحومَ والأسماكَ وصنوفًا شتى من أنواع الملذات الطيبات، وقبل أن تنفد باقة البيانات المتوفرة في هاتفي، دخلت أتصفح بحثًا عن صدى القرار في الشارع السعودي، هل آلمني وحدي أم كلنا في الهوى سوا؟

وجدت أحدهم يقول:

احمدوا ربكم، الضريبة تعلمكم الادخار والزهد في الدنيا، وهذا طريق يؤدي بكم إلى الجنة إن شاء الله

رد عليه آخر وقال:

وهل أصبحت الضرائب سببًا في دخول الجنة يا دجال؟

فَبُهتَ الذي كَذب

وقام الناس بين مؤيدٍ ومعارض، واندلعت في الهاشتاق معركة عنيفة

فريق يشتم قطر ونظام الحمدين

وخلايا إخوانية فَرِحة وتحاول زيادة النار اشتعالًا

وفريق يتناقل صور "أبو متعب" ويتلو على روحه الدعوات

وحسابات تروج لمقويات جنسية في عز احتدام المعركة وتعلن أنها سوف تعفي المشتري من القيمة الضريبية

وراح كلٌّ في فلكٍ يسبحون

أغلقت هاتفي حفاظًا على ما تبقى من البيانات وأعصابي، وواسيتُ نفسي إذ قلت:

فإن تكن الأجسام منا تباعدت

فإن المدى بين القلوب قريبُ!

التباعد الانطباعي

لم يكتفِ البعض بالمعاناة التي طالت الضِّعاف من الأيدي العاملة إثر الجائحة، إذ تضرروا بتضرر المحال والاقتصاد بصفة عامة، يخرج ذاك الرجل للتنفيس عن كربته فيجد نفسه في إحدى زوايا مطعم أو مقهى منتظرًا القهوة، وفي روايات: "الأرقيلة"، وفي أثناء تفكيره بما أهمَّهُ من تحصيل مهر زواجه البليوني أو سداد فاتورة الكهرباء الألفية -إن كان من سكان جازان- أو في أحايين أخرى تفكيره بكيفية الحصول على واسطة يدخل من خلالها سوق العمل، وينسى أو يتناسى هذا المروِّح -بالشدَّة على الواو والكسرة- في خضم تلك الجلسة أن هنالك من ينال ضعف ما ناله من التفكير والشتات والعذاب أضعافًا مضاعفة، حين ينادي العامل بصوتٍ عالٍ ويسكب فيه جام غضبه بسبب تأخره بضع ثوانٍ بالطلب أو عدم انتباهه إلى درجة التكييف المنخفضة

ذلك العامل، الموهون الجسم، الشاحب الوجه والنحيل العضلات، ما هو إلا جسد يتحرك في مكان، أما روحه فهناك في مكانٍ آخر، في بلده، حيث الولد والأهل والصديق والأصحاب، حيث ذكريات الماضي وتطلعات وآمال المستقبل البسيطة

بين الشخصين مسافة خطوات، لكن بين آلامهم ومعاناتهم آلاف الكيلومترات، وأنت في الزاوية الأخرى تنظر باشمئزاز بعد ذلك الانطباع الذي تكوَّن عن هذا الشخص الجالس قبالتك، وتقول:

ليت هنالك تعميم يصدر بالتباعد الانطباعي، مثلما صدر بالتباعد الاجتماعي!

ثقافات

ثقافة موظف

"تبًّا لهذا الإمام الذي يطيل بنا في صلاة الفجر!

ألا يعلم أن فينا من يبيت الليل ساهرًا برفقة أصدقائه بالديوانية تارة وفي البيت مع البيت تارةً أخرى؟! ألا يعلم أن للنوم حرمته؟!

ثم يطيل بنا في الصلاة وينسى قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ عندما أطال بالناس: أَفَتَّانٌ أنتَ يا مُعاذ؟!

سحقًا لهؤلاء المتشددين الذين غلوا في الدين

وأبعدونا عن السنة الصحيحة

لكن لا بأس، لا يزال لدي متسعٌ من الوقت، سأنعم بقليل من الراحة إلى أن يأتي موعد العمل

وفي السابعة والنصف صحى صاحبنا مفجوعًا

"الدوام!... البصمة!"

خرج مسرعًا وركب سيارته، فوجدها متسخة ببقايا وجبة عشاء أمس الحافل، ففتح النافذة في منتصف الطريق، ثم على عجل،

نثر بقايا الأكل بطريقة احترافية تجعلك تحلف بأغلظ الأيْمان أنه كل يوم يفعلها

وصل أخيرًا إلى مقر العمل، بعد مشاحنات وسِباب مع مَن بالشارع جميعهم، وبعد استخدامه الطرق المشروعة وغير المشروعة

دخل فإذ بالمراجعين في انتظاره، عبس وتولى وأنحى وجهه وهو يهمس لنفسه: "يا لهؤلاء المراجعين! أشغلونا.. ما يتعبون؟"

يستقبلهم بكدر، وينظر إلى الساعة ليجدها الثامنة والنصف، ثم يقول لهم:

انتظروا، إنه موعد الإفطار!

ثقافة المناشدة

يقوم العالم المدني الذي نحن جزء من منظومته اليوم على القوانين الشفافة الواضحة المنصوص عليها في الدول المتحضرة كلها، يعرف الفرد من خلالها ما له وما عليه تجنبًا لاختلاط الحابل بالنابل، في حين لا تزال تنتشر في بعض المجتمعات الثقافة البدوية القبلية القديمة القائمة على "طَلبْتَك" و"قُل تم"، التي تنبثق من خلالها فكرة المناشدة مع انتشار وسائل التواصل بين الشرائح كافة، بين غنيٍّ وفقير، صغيرٍ وكبير، وزيرٍ وخفير، وطفوِ المشكلات التي يعاني منها أفراد تلك الشرائح في المجتمع ولم يجدوا لها حلولًا سريعةً وواضحة، أو وجدوا لكنها مجحفة -في نظرهم على الأقل- في مراتٍ كثيرة

هنا توفرت كل العوامل اللازمة لإعادة ثقافة المناشدة إلى سطح المشهد، فلا يمر يوم إلا ونشاهد ونسمع من يناشد وُلاة الأمر والوزير المعني وكل من يرى في يده خلاص مشكلته

والذي يظن أني أبالغ، دونك محرك البحث في تويتر وقوقل ويوتيوب، ما عليك إلا أن تنسخ هذه الكلمات التي بين علامة التنصيص "نناشد" و"أناشد"، وتعيد وضعها وسط المحرك لتنتقل في غمضة عين من حياتك الجميلة إلى الواقع المرير لمشاكل وهموم المواطنين

أحدهم يشكو ضعفه وقلة حيلته من المرض ويرجو من الصحة الإسراع لنجدته، وآخر يحترق وينادي وزير الإسكان لمعاينة حالته، وآخر لوزير العمل، وغيرهم الكثير الكثير

وأنا لست بصدد تحديد مَن المخطئ، سأدعكم أنتم تقررون، لكن ما أنا متأكدٌ منه أنه يجب أن يحظى المواطن المغلوب على أمره بحقوقه كافة، من سكن وعلاج وحياة كريمة نصَّ عليها الدين وطبقتها الأمم

ولكني -وبالتأكيد لست وحدي- أتحسس من انتشار هذه الظاهرة التي تدل على وجود خلل بين المواطن، وبعض الوزارات تُحوِّل المرء من إنسانٍ كريمٍ إلى شخصٍ يظهر بمظهر لا يرضاه أحد

وهذا النمط القديم في حل المشكلات والشعور الأبوي بين أفراد القبيلة وشيخها هو مظهر جميل في الماضي البعيد يدل على التلاحم والمودة وقرب الأشخاص بعضهم من بعض، ولكن اليوم يجب أن تختفي هذه الظاهرة ويطغى صوت التشريع والقانون الواضح وسرعة إجراء المعاملات من قِبَل الوزارات وخدمتها للمواطنين، فهذه وظيفتها الأساسية، حتى لا يضطر الناس إلى أن ينكسروا وينحنوا كلما عنَّ لهم أمرٌ جديد، ولكي يعيش المرء في مجتمعاتنا الحياة الكريمة المنشودة

فهكذا علمنا الإسلام، دين العِزَّة والكرامة

ثقافة التملُّق

يُعرَف التملُّق أنه: التودد والتلطف بكلامٍ غير حقيقي لشخص ذي جاهٍ أملًا في كسب رضاه

وهذا السلوك مشكلة أخلاقية منذ العصور البائدة، وأكثر ما كان يظهر في بلاط الملوك والخلفاء، من الشعراء وغيرهم من المتزلفين، فترى الشاعر يُحقِّر من نفسه وينزلها أدنى من المنزلة الكريمة التي وضعه الله فيها، ولقد كرَّم الله بني آدم كما ذكر في محكم التنزيل

والتملُّق كمعنى وسلوك نقيض للحرية والشجاعة، فالحر الشجاع لا يخاف أن يغضب البشر عليه -مهما بلغت مناصبهم- ما دام قد أرضى رب البشر، ولا يُكثِر من تقبيل الأيدي وترديد عبارة "طال عمرك" في نهاية كل جملة

لكن الواقع، أن هكذا تكون المعادلة عندما تصبح الوظيفة أو المركز الاجتماعي أو المال أو رضا المسؤول أو أيٌّ من هذه المطامع، التي تؤدي بالضرورة إلى سهولة الحصول على الملذات الدنيوية، غايةً في حد ذاتها، فتهون على المرء نفسه ليسومها الذل والهوان

لكن يتفاقم شرخ الخلل إن انتقل هذا السلوك من سلوكٍ فرديٍّ إلى سلوكٍ جماعيٍّ يستفحل داخل جسد المؤسسات الإدارية، لتتبدل الغاية من نيل القربة والشرهات والترقيات الشخصية، إلى تحسين صورة المؤسسة لدى علية القوم فقط، دونًا عمَّن سواهم كأنهم هم المعنيِّين بإنشاء هذه المؤسسات وليس البسطاء من الناس

وما مرأى الزهور والورود على الأرصفة، والفرش الأحمر المبسوط على الأرض التي ستعود صحراء قاحلة بعد انتهاء الزيارة، إلا صورة من صور النفاق والتملق

ولا أدري ما بال الناس يستميتون في بيع كراماتهم بكرةً وعشيًّا

وأيضًا لا أدري كيف يستسيغ المسؤول ويقبل بهذه المداهنة والكذب المحض والتمسح بقماش بِشْتِه، وهو يعلم في قرارة نفسه أن هذه المناظر كلها ليست حُبًّا في شخصه بقدر ما أنها طمعٌ في منصبه

ألم يشاهد معنا هؤلاء منظر رؤساء ووزراء دولٍ عظمى يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق بلا حراسة شخصية ومركبات مصفحة أسوة ببقية المواطنين، ويقابلهم الناس دونما اكتراث، كلٌّ منهم هو في شأن؟

لكن ظني أن مسؤولينا يخافون لو فعلوا ذلك من ركض الناس خلفهم بالمعاريض والشكاوى، ووقوف البعض لهم بالمرصاد،

وبطريقةٍ ارتجاليةٍ ليقولوا أبياتٍ من الشعر يداهنوا بها المسؤول رغبةً في سرعة تخليص معاملاتهم

خاتمة:

وصل علي عزت بيجوفيتش -رئيس دولة البوسنة والهرسك المناضل- إلى صلاة الجمعة متأخرًا، فوجد أن الناس يفسحون له المجال ليتقدم على الرغم من وجودهم قبله، فما كان منه إلا أن تقدم إلى الأمام ثم استدار إليهم وقال:

هكذا تصنعون طواغيتكم!

غرائب وعجائب

مفارقات

ملأ أضلاعه بوجبة لحم دسمة من الذبائح المتوافدة عبر الحَمَلات السعودية ولم يلبث أن أعدَّ الكاميرا وتأنَّق ثم صوَّر مقطع يوتيوب طويل كثَّف فيه الشتائم، مما جاء فيه:

"بدناش مساعدتكو يالسعوديين"

في حين أن بقايا فتات اللحم عالقة بين أسنانه

****

عبَّر لي -وهو الموشك على الزواج- عن سعادته البالغة بأنه سيوفر ما يزيد عن خمسين ألف ريال لاقتصار زفافه على حفلٍ عائليٍّ صغيرٍ مُبسَّط، وذاك -حسب قوله- زاح عن كاهله كثيرًا من الأعباء، أهمها التكلُّف المادي والنفاق الاجتماعي

بعد يومين، نشر بطاقة دعوة كتب فيها:

وددت لو كنتم معي، أسعد بكم وتفرحون بي، لكن قدَّر الله وما شاء فعل وإن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنَّا على فراقكم لمحزونين!

****

"الصحوة هي سبب خلو الشوارع من الأشجار وانقطاع المياه المتكرر وارتفاع فواتير الكهرباء"

- تغريدة في عام ٢٠٥٠

****

"يا جماعة ما قلت لكم شقد هذا العطر خوراافي"

- نصابة تعلن عن عطر للمرة العشرين

****

يَنهى عن الاستماع إلى الموسيقى ودق الدفوف ويمارس التطبيل!

****

أفنت عمرها تطالب بالمساواة، وعند الكاشير حينما لم يُقدِّمها الرجال وحافظوا على أماكنهم العادلة، اتهمتهم بقلَّة النخوة والمروءة!

****

نؤمن أنا وصديقي بحرية التعبير إلا في السياسة، نخفض أصواتنا لأن للجدران آذان

****

"أُطمئن منظمة حقوق الإنسان أننا نراعي حقوق الشعب الفلسطيني كافة في أحقية الهجرة والموت السريع"

- رئيس الحُقراء الإسرائيلي النتن ياهو

لماذا تجري؟

يُناط بالعاملات المنزليات في كثير من الأحيان -إلى جانب الكمِّ الهائلِ من الأعمال التي لا تتوقف- مهمة إخراج أكياس القمامة إلى صناديق البلدية التي تبعد مسافة عشرة أقدام -تقل أو تكثر- عن باب العمارة، لذا أصبح من الطبيعي رؤية هؤلاء المسكينات في أثناء ذهابهن، وبعد وضعهن أكياس القمامة يبدأن في تشمير ملابسهن وعباءاتهن لتبدأ من هنا، من هذه اللحظة المصيرية، في التحول من عاملة منزلية أثقل ظهرها الرفع والحط، إلى منافس شرس لأسرع العدائين

خالجني سؤالٌ بريء هنا: لماذا تجري؟

أهي تعليمات ربة وقائد المنزل؟

أهو الخوف من احتراق الطعام الذي يوشك أن يكتمل فوق لهيب النار؟

أم هو الهروب من الكائنات المتوحشة في الخارج، المتمركزة في دواخل الشباب الذي لا يأمن ولا يُؤمَن ما بين جنبيه، لسرعة انقلابه من حمل وديع إلى حيوان مفترس طليق يَشتمُّ رائحة

الفريسة بأوساط الأحياء السكنية وعلى أطراف الأرصفة، فلا يردعه دين يؤثِم ويُحرِّم، ولا قانونٌ ينصُّ ويُجرِّم، ولا هو الذي من شيم وقيم العرب الأجداد اتسم واستفاد؟!

بالتأكيد إن القوانين التي تتعلق بالتحرش مؤخرًا بدأت أوضح من الماضي، وينبغي أن تكون بداية لا نهاية للتقْنِين والتشريع الواضح بمواد معلنة يُذكر فيها نوع الجريمة وعقوبتها المادية والمعنوية، لكيلا يجد أي حيوان مفترس ما يُسوِّل له انفلات غرائزه

وإلا يجدر بنا -إن استمر الانفلات- الفوز في مسابقات أسرع العدائين حول العالم بفضل اللياقة البدنية للعاملات المنزليات وبقية النساء المرعوبات

هرمون الأنوثة

ذهبت مساء البارحة مع مجموعة من الزملاء -بعد إصرارهم على اختيار المكان- إلى ممشى عام في إحدى المدن، وكنت قبلها كلما أصرَّ عليَّ صديق وذهبت برفقته إلى مكانٍ عام أقضي الوقت كله أتساءل: متى وضعوا هذا ومتى بنوا ذاك ومنذ كم أصبح الشبان يلبسون هكذا؟... حتى تعوَّدوا ألا يأخذوني معهم إلا اضطرارًا كاضطرار الزوجين حديثي الزواج إلى اصطحاب أطفالهما

حتى اعتدت سماع النكات التي تصفني بالقِدَم وتعيب عليَّ عدم إجراء الـ"Update" العصري، ولكن العذر لمن رأى مثلما رأيت!

فهل يُعاب على السجين القاضي نصف عمره في محبسه أن يستغرب ما وصلت إليه المدينة بعد خروجه وكيف في غيابه أصبح الناس؟ كلا وربي!

فذاك السجين والله أنا، ولكنه سجن الطواعية والاختيار، لا الإجبار

كان أغرب ما رأيت في نزهتي تلك، شاب أو قُل نصف شاب، أو قُل فتاة متنكرة بزي شاب، رأيته وهو يمشي ومن حوله الذئاب كالذباب، جياع كأن لم يأكلوا، أو كأنهم يشاهدون لأول مرة قطعة لحم تمشي على الأقدام، بينهم كانت تلك، أو ذاك، يمشي مشية

العروس ليلة زفافها، بوجهٍ امتلأ بتشكيلة من مساحيق التجميل

وفي وسط تلك الجلبة، شنب! لا هو الذي خرج بكامله ولا هو الذي لم ينبت، مظلومٌ في موقعه كأنه جاء غلطة، أو كأنه جاء وعندما اكتشف أن صاحبه ليس رجلًا، أو رجلًا مزوَّرًا، تراجع عن الخروج وأعلن احتجاجه

كان يمشي بتأنٍّ وتأنُّق، يسحب قدميه سحب الكسول المتثاقل، يخجل ويُدني طرفه إذا الأعين توالت عليه، ولعطره الأنثوي صولاتٌ وجولاتٌ حتى همَّ أحد المتطوعين بتذكيره بالموقف الشرعي من تعطُّر النساء، فتذكر بعدئذٍ أن كل ما فيه قد يعارض الشرع، فرحل

يتمايل ويتكسَّر من فرط اللين كأن جسمه مُتجزِّئ كل عضو يتحرك وحدَه، فصدره إلى الأمام ومؤخرته معها في خصام، لذلك تمشي وحدَها في الوراء مكتومةً مما أُسدِل عليها من غطاء

يضع على عنقه السلسال، وبين يديه الأساور وفي ساقه الخلخال، فأحببتُ أن أسميه فَاطِم، وقد كانت العرب تُسمِّي صخر وحرب وجساس وحنظلة، فكانوا لهم من الأسماء نصيب، فهذا فاطم وهذا نصيبه

وكنا نسأل قبل هذا: ما سبب تفشي ظاهرة اِستئساد النساء واسترجالهم؟ فوجدت الجواب أمامي؛ فاطِم وصَحبَها

لأنه لمَّا خرجت الفتاة من عزلتها وغدت تسعى وتتعب وتُقدِّم للعائلة والمجتمع وتعاني المعاناة الاجتماعية الصادقة، كانت تتعب وفاطِم وأشباهها يمرحون، تشقى ويستريحون، تكدح وهم متكئون في الخدر المصون، بالراحة والدعة يسعدون، يمرحون بذلك ويلعبون إلى أن يتخنَّثون، فاستزادت هي من صفات الرجولة بقدر ما نقص منهم

فبقيتُ أُفكِّر، مثل هذا ماذا يفعل لو قلتَ له اِجْرِ؟ والله لن يُحسِن!

ولو وضعته بين أبناء جيله وقلت اِلْعَبْ، والله لن يعلم كيف يلعب!

ويأتيك اليقين إنْ أحدًا اعتدى عليه وضربه أو شتمه، أو دع الضرب والشتم فهذا عليه كثير، افترض أنَّ شخصًا هزأه وأنَّبه، ستجده جلسَ حزينًا باكيًا كأنه المرأة طلقها بعلُها

وهو في أثناء هذا التفكير المسهب، أراه يمشي ويبتسم ابتسامة الخجلاء للناس المتشبقة، كأن فيه غريزة الأنثى وسعادتها الداخلية حينما ترى تأثير سحرها وسطوتها على الناظرين من حولها

حمدت الله بعدما قررنا الرحيل والعودة إلى منازلنا، عُدت، فنمت وكل همِّي أن أنسى خبر ذلك الفتى

وفي اليوم التالي استفقت، فوجدته معلقًا في أعلى الترينـد!
ولأتبين، رحت اقرأ الصحيفة حيث كان العنوان:
"الغوغاء تتحرش بفتى يتشبه بالنساء"

الكامل في كيفية إذلال العامل

تحدد موعد صلاة الاستسقاء، فتأهبنا للصلاة وخرجنا حاملين المظلات متفائلين بسرعة نزول الغيث وأنه على كل شيءٍ قدير

جاء الموعد فصلينا وخشعنا وابتهلنا بالدعاء، حتى تساقط الماء من المحاجر قبل السماء، ومع تَضرُّع الإمام في الدعوات داهمتنا على حين غرة، صرخة عالية مكتظة بالوجع، تلاها دَوِّي سقوط، لم ندرك بعدها أيَّ صلاةٍ نصلي ولا كنا في أي ركعة

وما كدنا ننتهي من الصلاة حتى تجمَّع جمعٌ من المصلين على رأس الطريح، كلٌّ يدلي بدلوه وهو بينهم جثةً هامدةً ينبس بصوتٍ واهنٍ وبكلماتٍ غير مفهومة "نهي.. نهي"

استنتجنا من كلامه ومن لون ملبسه واهترائه، وهزالة جسده وانطوائه، أنه أحد عمال البلدية الوافدين

فانفلق الناس بعد معرفته إلى قسمين، أصحاب الشمال وأصحاب اليمين

فأما الأولين قالوا: نظنه من الكاذبين الذين هم في أموالنا طامعين، اتركوه يموت أو يُرحَّل، فالسعودية للسعوديين

وأما أصحاب اليمين الآخرين قالوا: يرحمكم الله كونوا من المتقين المسعفين، لا من الشامتين بإخوانكم المسلمين

فبادر أحدهم بعد طلبه الإسعاف بناءً على نصيحة، في البحث عن أي وسيلة للاتصال بذوي الجثة الطريحة، فأدخل يده في جيبه فإذا هي ورقةٌ بيضاء، من أجلها تجادل الرفقاء، ما بين كراهية الاطلاع على خصوصيته وبين من يجيز الفعل ويستبيحه

قرأنا فإذا بها قصاصة من يومياته التي يبدو أنه سيحكيها للأبناء والأحفاد بعد العودة إلى البلاد

مما جاء فيها:

"عزيزتي بريانكا

عليكِ أن تأخذي الحيطة قبل رجوعي

أنا لم أعد ذاك الضامر، الناس هنا كرماء للغاية، ولكن فيما يخص الأكل فقط، يقدمون لنا على الدوام بقايا مأكولاتهم، وذاك بحسب معتقداتهم؛ أكرم وأسمى الخصال الإنسانية

إنهم يذبحون البعارين والخرفان في كل مأدبة ويدعون الناس إلى الجلوس حسب منازلهم، الأرقى فالأقل فالأدنى، أي: الوجهاء والأثرياء ثم من بعدهم النساء ثم يؤتى إلينا بما تبقى غذاء

أما عن تأخير تسليم الأموال أو سوء معاملة الأكفال، فلا تسألي

قد نجد الكفيل يُصلي ويصوم، ثم يهضم حقوقنا إلى أجَلٍ غير

معلوم

وأيضًا يتوجب أن أنقل إليك هذا الخبر المؤسف، لقد أُصِبتُ بحمى دائمة جراء تعرضي للمطر

فَهُم على الرغم من الغنى تُتلِف شوارعهم الأمطار، فتتعاظم عليهم الأضرار، وللأسف ليس لديهم الإمكانيات الحديثة لتصريف الماء، لذا يستخدمنا الخبراء أنا وزملائي كبش فداء، فنقوم بصورةٍ بدائيةٍ إذا نزل المطر ونقف على الطرقات نحتمل المشقَّات وندفع المياه بالعِصيِّ والأقدام نحو فتحات الصرف الصحي، فيما الجميع نيام، لذلك ما نفتأ نتمنى ألا يجود عليهم بماء السحاب إلى حين عودتنا إلى البنجاب. سأعود يا عزيزتي، سأعود قريبًا"

محبك: راسيل

على أبواب وزارة الإسكان

توافدنا من كل فجٍّ عميقٍ في صباح ذلك اليوم، وكانت عقارب الساعة تدل على أنها العاشرة صباحًا، إلا أنَّ الناظر والمستشعر للهيب شمس يدرك أن الزمن توقف في الواحدة ظهرًا بتوقيت جهنم، مهما قالت الساعات عكس هذا

على بوابة وزارة الإسكان في جازان، ولا أذكر أنني أكره شيئًا مقدار كرهي سيرة هذه الوزارة ورؤية مبناها، إذ إن المواطن هنا تظهر عليه أعراض "جلطة المراجعة"، وهذا مرض حاد، شنيع، متأزِّم، يؤدي إلى الموت من شدة الحنق والاكتئاب إثر بيروقراطية المؤسسات بعد ثاني مراجعة لوزارةٍ حكومية، وقيل في بعض الأحيان من أول مراجعة

لا علينا!

ظهرت على وجوهنا علامات الاستغراب من أن باب الوزارة مُقفَل ولا أحد يجيب طَرقات الطارقين ونداءات المستنجدين، وهذا ما نسميه في بلادنا عنصر المفاجأة، وتستخدمه باستمرار المؤسسات الحكومية عند حدوث الأزمات

بعد ساعة من الانتظار، تلطَّف حارس المبنى وأرسل أثير صوته من على بُعْد ثلاثة كيلومترات يخترق الفراغ الموجود في منتصف

البوابة، ليعلن في كبرياء تدل على أنه لن يعيد كلامه مرةً أخرى:

"ارجعوا، مقفلين؛ اليوم تعقيم"

دعونا بصوت رجلٍ ملغوبٍ واحد: أدام الله لنا إخلاص السادة المسؤولين

يعقمون في أول يوم دوام خوفًا على المواطنين، وفي الصباح الباكر!

قبل حتى أن يزورهم أحد، وهكذا عاد الوافدون من كل مكان بِخُفَّي حنين

حتى أعلنت صحيفة مجهولة المصدر:

حمتهم الوزارة من كوفيد ناين-تين، ليعودوا إلى منازلهم مجلوطين

فنون.. في الضحك على الذقون

خرج أحد أعضاء مجلس الصورى يتحدث عبر أحد البرامج التلفزيونية عن رحلة كفاحه "من الصفر" وصولًا إلى ما هو عليه، وأشاد بالحراك الفكري الاجتماعي الحاصل، واستطرد حتى طال استطراده في حديثه عن تطور التعليم السعودي وتقدُّم الجامعات في التصنيفات العالمية، وأثنى معاليه على الكوادر الطبية الموجودة، واستغرب استمرار الهجوم المتكرر من وسائل الإعلام الجماهيرية على المراكز الصحية

وللأمانة، كنت مستمتعًا برفقة صديقي ونحن نشاهد اللقاء وشعرنا أننا محظوظون بهذه القامة الفكرية، حتى باغت المذيع معاليه إذ سأله عن إصابته الحديثة في المرفق في أثناء مشاركته في أحد تمارين النادي الكتلوني، في زيارته الترفيهية الأخيرة لإسبانيا، التي عالجها بعد ذاك في مركز متخصص في العاصمة الفرنسية باريس، وطمأن المشاهدين على سلامته

وقبل انتهاء الحلقة، عرض المذيع عدة صور ليُعلِّق عليها الضيف، كان من بينها صورة تجمعه بأبنائه، بان حينها على وجهه ونبرات صوته نوع من المشاعر الأبوية الحانية، وتمنى التوفيق لابنته التي انضمت مؤخرًا إلى جامعة أوهايو لتدرس الفلسفة، في

حين أن الشاب اتجهتْ بوصلته إلى أكسفورد ليحقق أمنيته اللطيفة في دراسة تاريخ الفنون

وخنقت العبرات صوته حتى اضطرَّ المذيع إلى الاستعجال في إنهاء الحلقة، وقبل أن تنتهي عاد الضيف ونبَّه على المواطن بتطور الجامعات المحلية وضرورة دفع عجلة التنمية والتروي في إصدار الأحكام على المؤسسات التعليمية العظيمة، وأوصى الجميع بالصبر والتجلُّد وإن بدَرَ سوء وتقصير في المراكز الطبية الحكومية، لأن الأخطاء واردة في كل مكان، وجَلَّ من لا يخطئ

وقبل أن ينهي توصياته التي هو نفسه لا يطبقها، أقفل صديقي التلفاز

ثم قال وهو محتقن: يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم

وأردف قائلًا لي: مُدَّ قدميك يا أبا حنيفة.

"اللي ما يدرب.. يتفرج"

الأزمات بيئةٌ خصبةٌ تتولد فيها كثير من الابتكارات الجديدة، والمريبة أحيانًا

فلولا استعصاء الظلام الذي أعاق مداواة والدة أديسون لما اخترع المصباح، ولولا آثار الدورة الشهرية لدى النساء لما تحفَّز ذلك الهندي لابتكار وسيلة الفوط الصحية... فَمِن رحم الأزمات تتولد الفرص، والحاجة أم الاختراع، كما يقولون

منذ الإعلان الأول لقرار حظر التجوال والالتزام الجبري بقرار البقاء في المنازل، انتفضت المؤسسات الأهلية والحكومية وتأهبت، فحشدت الجماهير لتبدأ عزف سيمفونية الدورات الافتراضية منذ ذلك اليوم إلى حيننا هذا، لتوهم لبعض الشبان ما يوهمه السراب للعطشان

فلا ينقضي يوم دون أن ترى إعلانًا لشهادات حضور هذه الدورة وتلك، حتى أبلغني مؤخرًا أحد الزملاء أن لديه مئةً وستين شهادة كُتب عليها اسمه الثنائي، حصل عليها من مدربين ومتدربين، على الرغم من أنه كان غاطًّا في نومٍ عميقٍ حينما حضرها

وفي اعتقادي وحسب خبرتي البسيطة، أن المعضلة التي ستواجه مُديرِي التوظيف مستقبلًا ليس التفاضل بين المتقدمين، ولا نقص الكفاءات

لا، كلَّا

بل صعوبة حرق أو تقطيع هذا الكم الفائق من الورق المُهدَر عبثًا
في سبيل إنجاح بعض الفعاليات

أخبروني، ما الذي تضيفه هذه الشهادات غير إثقال العلَّاقي الأخضر؟

وهل من الصحي أن تتحول الشهادات إلى مصيدة يُستدرَج بها الحضور ليكون دافعَ الحضور الشهادة لا الاستفادة؟!

ولا يُعرَف من استوعب ما قيل ومن كان في سباتٍ عميق؟!

فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

ثم أخيرًا، ما الذي تضيفه حينها هذه الدورات ذات الساعة والساعتين

إن كان الحاضر غائبًا

عن الوعي؟

فستذكرون ما أقول لكم، وإن غدًا لناظره قريب

فبعد غدٍ سينجلي الغبارُ.. وتعرف أَفَرَسٌ تحتكَ أم حمارُ

أساليب القنص بالصورة والنص

وفق أحدث البحوث

القنص لغةً: الصيد، يقال: قنص الفريسة، أي: صادها، أو اقتنص الفرصة، أي: اغتنمها

واصطلاحًا: عملية يُجريها فرد أو جماعة تهدف إلى الإطاحة بالصيد

وهي رياضة قديمة لدى العرب، كانت تُمارَس من قِبَل الهواة للتسلية وفي أحايين أخرى لسد الجوع

ووفقًا لأحد أحدث البحوث المنشورة في إحدى الجامعات البريطانية، وهو بحث باسم "الصيادون بعد الثورة الرقمية"، فوجئت بعدما أوغلت في قراءة البحث أن الكاتب يتحدث عن ظاهرة جديدة في وسائل التواصل الاجتماعي، إذ أسماها "القنص الإلكتروني"، وهي محاولة للقنص بصورة مباشرة أو غير مباشرة، يعتمد فيها القناص على تكتيك فعال إن أحسن توظيفه، كالإكثار من الاستماع إلى الموسيقى وشرب القهوة، والمدافعة عن حقوق الفرائس، ومحاولة الإيقاع بأكبر عدد منها إما من خلال منشور مكتوب أو مرئي يتظاهر من خلاله –كَذِبًا لِجرِّ فريسته- بمدى انفتاحه وتَقبُّله الأفكار الحديثة واستشرابه الثقافة، وأنه هو

المُتنوِّر الذي يعيش في بيئة متخلفة مقيدة بالعرف والدين، وربما لو تطلَّب الأمر لوصل إلى الإلحاد والفسق والفجور من أجل الاصطياد

ومن خلال البحث السريع، وجدت أن هذه أكثر وسائل الصيد المتبعة حاليًّا، بالإضافة إلى دعم الحقوق والحريات الغربية اليسارية كالنسوية والإلحاد والمثلية

ومن المعلوم على مدار التاريخ، أن العرب شغوفون بالقنص واللهث خلف الطرائد في البراري والجبال تسليةً وجوعًا. فما لنا لا نحمد الله الذي جعل الخَلف على سيرة السلف مستمسكين بعاداتهم الأصيلة على الرغم من اختلاف الأهداف؟!

فالقدماء كانوا يصطادون الأرانب والغزلان، أما اليوم مع التطور التقني وسهولة عملية القنص، فبقراتٍ سِمان!

وبمناسبة البقر، أذكر أن أحدهم قال:

لماذا أشتري بقرة وأنا أستطيع اصطيادها بسهولة وشرب حليبها بالمجان؟!

التجارة بالبشر.. أو البقر

سابقًا، كانت تخطف بعض العصابات الأبرياء، وتُقطِّع جثث الرجال أو تبيع أجسادهم بعد تقطيعها، ولم تسلم النساء، إذ أَكسَبَ بيعهن واستعمالهن في بيوت الدعارة صيتًا كبيرًا لهذه العصابات، التي كان المال والربح غايتها الوحيدة حتى لو على حساب امتهان البشر

ولكن بقيادة الأمم والويلات المتحدة التي حاربت الإرهاب، تم القضاء بصورة كبيرة على هذه المنظمات، لتعود في صورتها الحديثة لأنها لم ترفع الراية البيضاء، بل بدلت قناعها وعادت تمارس هواياتها المعتادة بزيِّها الحضاري

ادخل الأسواق لترى

أو شاهد مثلًا بعض إعلانات يوتيوب وستفهم

أو انظر ماذا يعني عندما يتم تحديد مقاييس الشكل واللون والجسد للقبول في إحدى الوظائف أو الأعمال التطوعية

وعندما تُستهدف النساء لوضعهن كَطُعم للمغفلين لتسويق السلع

في الإعلانات والأسواق

وعندما يصبح للبنية الجسمانية والباي والتراي وتسريحة الشعر الأولوية، وتصبح وظيفة المذيع الإخباري حصرًا على الفاتنات من النساء

فماذا يعني إذًا أن يتم التصنيف بناءً على شكلك عند تقدمُّك إلى وظيفة -لا سيما إن كانت جماهيرية- قبل معرفة مستواك التعليمي ورُقيِّ تفكيرك؟

أليست تلك مقدمات لتفريغ الناس من قيمتهم الفكرية والتركيز على شكلياتهم؟!

فماذا نسمي هذا كله؟

إنه الشق أكبر من رقعة "أهمية المظهر الشخصي"

إنه امتهان لا محالة

أن تتبدل المقاييس وتصبح الأشكال عِوضًا عن القدرات والمهارات هي الفيصل في تحديد قبولك في المجتمع أو المؤسسة من عدمه، وأن تصبح القيمة في جسمك وشكلك، لا في محتواك وماذا ستقدم

لا شك عندي أن هذه المظاهر اللا أخلاقية من تجليات

الرأسمالية البراغماتية التي تتاجر بالناس والأجساد

وقبل أن تُوجِّه إليَّ تهمة الشيوعية بحجة تحاملي الواضح على الرأسماليين، انقلوا عني أني قلت:

قاتلهم الله مجتمعين

تطوع.. لوجه الله!

كان لي أحد الأصدقاء من الذين عُرِف عنهم شغفهم بالتطوع، خصوصًا المختلط منه

أُعجِبتُ بسعيه الحثيث، وأحببت أن أحذو حذوه، فسألته مستفسرًا عن ماهية الأعمال التي يقدمها للناس، إذ إن مفهوم التطوُّع بالنسبة إليَّ -قبل أن أسأله- هو "تقديم المساعدة للفئات المحتاجة لوجه الله بغير مقابل، سواء كانت الخدمة مادية مالية أو عملية جسدية أو معنوية لفظية"

ابتسمَ بتأنٍّ وهو يسمع هذا التعريف وعلى وجهه تبدو ملامح سخرية خبيثة، وقال: صدقت، قد كان ذاك زمن الصحوة، أما اليوم اتسَعَ المفهوم، إذ باتت توجد مهرجانات لهيئاتٍ رسميةٍ وجهاتٍ حكوميةٍ نعمل معها في تنظيم الحفلات الغنائية دون مقابل، لوجه الله

فقلت مستغربًا: ما شاء الله، حفلات غنائية لوجه الله!

فأكمل وراح يسرد بطولاته بصحبة بلقيس وماجد المهندس، في حين أنني رفعت يدي وبدأت أقرأ الفاتحة على روح الفقيد.. التطوع البريء

ينسى أو يتناسى المتطوع في غمرة نشوته مبادئ ومواثيق هذا العمل الجليل، وقد رأينا في الأعوام الماضية كيف أصبح هذا العمل الخيري التطوعي ركيزة اجتماعية أساسية، وهو بلا شك من أجمل المفاهيم التي تجسدت في مؤسسات وأندية هدفت إلى مدِّ يد العون وسدِّ الفراغ الاجتماعي، فبات المتطوع حلقة الوصل بين المؤسسة التي تفتقد إلى اليد المُعينة على فعل الخير وبين من هم أهلٌ لهذا الخير

لكن لأن الاستغلال لا دين له، فهو يظهر في كل زي، مخلوق انتهازي، براغماتي، لا أخلاقي، فكانت الضحية الوديعة هي مفهوم التطوع!

انتهى اللقاء حينما رنَّ هاتفه فأجاب، فإذا بها والدته تريد مساعدته لإنجاز مهمةٍ ما، فوجدتهُ يتملَّص للهروب من تلك المهمة وتأجيلها

فعجبت، كيف يسهم شخص في مساعدة الغرباء ولا يُعين أهله؟!

حتى قالت الأم -لخبرتها بابنها- أن المهمة الموكلة إليه مختلطة،

فقام صاحبنا يجري

لوجه الله

جامعيات

محنة التخصص

أن تدرس الإعلام في الجامعات العربية فأنت بالتأكيد غير واعٍ بالمستقبل المهني

وأن تدرس الإعلام في الجامعات السعودية، فأنت غير مدرك لمتطلبات السوق

أما أن تدرس الإعلام في جامعة جازان، فأنت مهبول + ما سبق جميعه

هكذا يتردد في الأوساط، وهكذا يُنَظِّر الناس على المتخصصين في المجال حتى فقدوا ثقتهم وأصبحوا يتوارَوْن عن الأنظار ما إن يدور الحديث حول المسائل الجامعية

والحقيقة، إن في كلامهم -أحيانًا- بعضًا من الصحة

وشخصيًّا، أرى أن التحَجُّج بالسوق أمر غير مستساغٍ إلا لمُحبِّي التنظير والتبرير، وتفسير ادعائي يطول وليس هذا موضعه

ما يهُم أن تشخيص المشكلة يعني قطع شوط طويل لوضع الحلول، وفي هذا المعرض أدلي بدلوي وأقول: إن الأسباب التي

ساعدت على ترسيخ هذه النظرة تتكون في عمومها من أربعة عوامل:

ضعف الإعلام السعودي ودوره التقليدي الذي اضمحل منذ عهود

جمود وزارة الإعلام عن النشاطات العملية في أرض الواقع وعدم استشرافها للمستقبل للعمل على بِنية شبابية إعلامية متميزة تُبشِّر وتُجسِّد عبر وجودها بالمستقبل المأمول في العاجل القريب

ضعف الاهتمام بالأقسام الأدبية بصفة عامة، وعدم تخصيص حيِّز لها من العناية التي تستحقها من مسؤولي الجامعات

أخيرًا: تحويل القسم إلى مكان لتَجمُّع المُخلَّفات، مع شديد الاحترام للمخلفات، إذ ظلَّ يستقبل على مدار سنوات المتردية والنطيحة من خريجي الثانويات ورَجِيعي التخصصات الأخرى، ثم يتخرجون وهم محسوبون على التخصص. هكذا أدت سهولة القبول في التخصص وضعف المناهج التي تُدرَّس إلى تَردِّي الطالب، ثم الوقوع في مأزق ركاكة الصورة النمطية لطالب التخصص

إنني أفهم الصعوبات التي يواجهها الطلبة، خصوصًا المتميزين منهم، وفي الوقت نفسه، أدرك مدى المسؤولية التي على عاتقهم

كأفراد في التعلُّم والاستفادة من الموارد المُسَخرَّة والعمل على التنمية الذاتية الدؤوبة، ثم المشاركة الفعالة والمساهمة في التنبيه والتطوير والمراقبة والمحاسبة لإدارة الكلية والجامعة

وأنا مؤمن أن الإخلاص في طلب العلم وتنمية الذات تُنجي صاحبها من شر العواقب، وأرى أيضًا أن الاهتمام بالمستقبل الوظيفي يجب ألا يشغل الطالب عن دوره الرئيسي والوحيد وهو التعلُّم، ثم التعلُّم، ثم التعلُّم

لكن في مجتمعاتنا -لأمرٍ ما يدل على وجود خلل فوقي منهجي- تتحول الدراسة الجامعية من مرحلة إعداد وتعلم إلى سباق محموم نحو السعي إلى الوظيفة

فإن لم يُخلِص الطالب النيةَ للهِ في طلب العلم، فكيف يظفر بالتوفيق؟

معضلة التلقين لعشرات السنين

الغرائب التي تصادفها في جامعاتنا لا تُحصى، ولو أنني قررت تخصيص هذه المقالة لتعديد المثالب لما وَسِعَت، ولخرجنا بموسوعة كاملة بعدَّة أجزاء ومن أكثرها مثارًا للسخرية، عدم تفريق الطلبة بين الأستاذ والدكتور، لكن لعلَّه يكفينا سرد ما هو جديرٌ بالذكر منها لمحاكاته واقعًا مؤلمًا أشهده

قبل الولوج في الدراسة الجامعية، كنت أتوقع أن التدريس سيكون على يد كفاءات علمية مشهود لها بالغوص في دهاليز العلوم والمعرفة، خصوصًا تلك القامات التي يتم جلبها من البلدان البعيدة، وكون التخصص "إعلام" فإن المحاضرات ستكون ممتعة أيَّما متعةٍ -هكذا يبدو- بالنقاشات التي تَستدرِك كل جديد في الساحة، ولكن أبدَتْ لي الأيام ما كنتُ جاهلًا

فوجِئت حينما وجدت أن التدريس نوع متطور من التلقين، بل أبالغ حينما أقول متطور، إنما هو التلقين ذاته الذي تلقيناه في المراحل المتوسطة والثانوية، منذ دخول المُحاضِر حتى خروجه لا يتميز عن أستاذ ما قبل الجامعة سوى في استغراق قراءته لساعتين بدلًا من نصف ساعة!

فإذ بالكفاءات التي كنت أتصورها ما هي إلا تصوُّرات مثالية ما لَها على أرض الواقع من تمثيل، أجسام تتنقل بين القاعات وتكرر الإملاءات نفسها منذ عشرات السنين، والجمود الفكري يسيطر على المكان

كهولة تقف وأمامها على الكراسي شُبان يتعطشون إلى الحداثة ويشاهدون كل يوم التغيير ويصنعونه، فازداد الفارق اتساعًا وأصبحت المعادلة والمفارقة العجيبة بقدر عدد السنين بين القائمين والقاعدين

مصارحة

يعتريني صادق الحزن والأسى وأنا أشاهد الصورة الحقيرة المنوطة بالطالب الجامعي السعودي

جوهر الأهمية للطالب الجامعي بين الأمم تقوم على فكرة كونه تجاوز مرحلة الإنشاء والإعداد والمراهقة، وبات في مرحلة الصناعة -العلمية- والقيادة والوعي والإدراك

لكن في حالات شتى تفوق الحصر، يُخطئ الشاب السعودي الجامعي في تقزيم نفسه، سواء بعَمْد أو دون عمد، بل والتقليل من شأن أسرته الكريمة وقدرتها على التنشئة الصالحة. ولا أبالغ إن قلت يتجاوز الأمر حتى يهز بصورة الدولة حينما تصبح الصورة النمطية العامة السائدة للشاب السعودي أنه كائن رخو لا يقوى على إنجاز مهامه دون مساعدة الغير، وشاب طائش مستكين، مفتور القوى، وضيع الهمَّة، لا يوازي تطلعات المجتمع الذي يعول عليه في صنع التغيير ومواجهة التحديات، ولا يفقه أساسيات الحياة، فما بالك بأبجديات الدراسة الأكاديمية

وليس هذا من باب المبالغة وسوداوية النظرة، بل أحكي ما أشاهده وخطيئة الشاب الجامعي -لا سيما في قاعاتنا التي تعج بالكوادر

الأكاديمية غير الوطنية- عندما يظن أنه يمثل نفسه في أفعاله، ولا يعلم للأسف بشأن مجانبته للصواب

المعادلة ببساطة، في أثناء حديثك مع أحد الجيران، فأنت تمثل نفسَك أولًا ثم تجسد المجهود التربوي والفكري الذي أُنفِق عليك

أما إن كانت المحادثة مع شخصٍ آخر من خارج محيطك الوطني، فَيُضاف عامل آخر، فأنت هنا بالإضافة إلى نفسك وعائلتك تنقل صورةً تقديريةً عن الدولة التي ترعاك أيضًا

هذه بديهيات، لكن الطامة إن اضطررتَ إلى شرح هذه البديهيات لطالب جامعي!

لقد هرمنا ونحن نقول بأهمية الإعلام، وما المواطن والطالب إلا سفير وصورة مصغرة ينظُر من خلالها الناس إلى هذا البلد ومستوى الوعي والتعليم فيه

ولا تَسَل كيف أن البعض أساء إلى نفسه وإلى بلده الذي هو منه فأصبح يستمتع باغتيال هوية بلاده، وما الهوية الوطنية في يده إلا

"عصفورة في كفِّ طفلٍ يَسُومُها

وُرُودَ حِياضِ الموتِ والطفلُ يلعبُ"

وما لي لا أحزن وجُلُّ همي ارتقاء شباب المجتمع، لكني لا أرى إلا تردِّي بعض مُخرَجات التعليم الجامعي على الرغم من كل الآمال المنعقدة وعلى الرغم من توفُّر سبل التنمية والتطوير كافة، وقبل ذلك وجود دوافع وتحديات تدفع بالشاب إلى الاجتهاد والإلمام والتحصيل

والنَّقْدُ ليس هِواية، وما يَحِدُّني إلى كتابة هذه الكلمات، ليس ما يسمى بالتشاؤمية المفرطة، بل الحرقة التي تجتاح الصدر، الغيرة على مُقدَّرات الوطن التي تُهدَر على أمل، فتجد ألَمًا

وليس العطالة وسوء تخطيط وتنفيذ وزارة العمل بمبررات

وَجب أن يفهم المواطن والطالب أن التسخير الإلهي لهذه النعم حتمًا سيزول، والدولة؛ لا، بل الأمة كلها في أمسِّ حاجتها إلى طاقات شبابها المُهدَرة

وإن الغيرة على الوطن لا يُعبَّر عنها بمنشوراتٍ افتراضية ولا بكلمات غوغائية ولا بتقديس الرموز ووضع صورهم عند كل محفل وشتم قطر وقناة الجزيرة في كل صباح ومساء

الوطن يحتاج إلى العلم والعمل فقط، لا الثرثرة

بهذين فقط نشد أزر الوطن وقيادته ونُشيِّد الصرح العظيم

وليَعلَم كل طالب ما يلي

هذه المرحلة مرحلة أخذ، ولكن ما هو قادم مراحل طويلة من العطاء

أنت تذكر جيدًا ما أخذت من هذا الوطن السخيِّ الكريم المعطاء

ولكن اسأل نفسك وأجِب: ماذا لديك لتقدم؟

هذه هو التحدي

والسلام على من اتبع الهدى

قضایا

مشاهد من بلاد الملاحد

جورج فلويد وحَكايا أخرى

التحق ابن رئيس الوزراء بالجامعة، ولأن منزله بعيد عن المقر، قررت والدته -زوجة الرئيس- شراء شقة له بجوار المقر الجامعي لكي يستقر بقربها ولكيلا يتعب في الذهاب والإياب، وعندما تفاوضَتْ مع أحد مالِكي العقار خفَّضَ لها ثمن الشقة بما يقارب الـ١٠٪ لأنها زوجة الرئيس، أي استخدمت نفوذ المنصب العام لزوجها لتسهيل معاملاتها (ولاحظ معي أنها نسبة بسيطة، فقط عشرة بالمئة من المجموع الكُلِّي)

فماذا فعلت الصحافة عندما علمت؟

لقد قامت قيامتها وشنَّتْ حملتها الشعواء ضد الرئيس وزوجته حتى اضطرَّتها إلى الخروج باكيةً في مؤتمر صحفي تتجاذبها الكاميرات فيه وتُؤنِّبها الألسنة، فتندَّمتْ واعتذرت، بعدما بالبكاء انفجرت، وللمواطنين أكدت الأسف والندم، وأنها وزوجها للشعب خدم، بعدما صارت سمعتها موطئًا لكل لسانٍ وقدم

****

أُصيب الرئيس بألم شديد في المعدة، وبعدما أجرى الفحوصات الطبية اكتشفوا إصابته بورمٍ خبيثٍ يستلزم التدخل الجراحي

مباشرةً، أذاعت وسائل الإعلام الرسمية الخبر، مع سرد التفاصيل كافة حول المرض وخطورته وحجم الورم وانتشاره في الجسد

وناقشت الوسائل والجماهير إمكانية تأثير هذه العملية على قدرة الرئيس على اتخاذ القرارات الصحيحة

وكانوا يتناقشون بصورةٍ طبيعيةٍ وبكل شفافية حول مؤيدٍ ومعارض

لأن صحة الرئيس لا تؤثر عليه وعلى عائلته فقط، بل على حيوات المواطنين جميعهم

والأهم من ذلك، لم يُقبَض على أحدٍ منهم بحجة نشر الشائعات والمساس بالأمن

****

أحد عمال الجالية الهندية المسلمة في فرنسا يحكي لي موقفًا حصل له في رأس من رؤوس الأماكن الفرنسية العامة، في مدة كانت فرنسا تذوق فيها ويلات التفجيرات الإرهابية وتشتعل صُحُفها بالتحريض ضد المسلمين وتفوح نتانةٌ بطبعها العنصري الوقح الفجِّ الذي يؤثر على شريحة كبيرة من المواطنين الفرنسيين

يقول: في أثناء جلوسي، هجم عليَّ ضابط فرنسي طالبًا مني الوقوف وإخراج هويتي بأسلوبٍ متعالٍ غليظ، وظلَّ يمطر على مسامعي الأسئلة المستفزة حتى جعلني أصرخ عليه طالبًا منه

التوقف عن معاملتي هذه المعاملة غير القانونية وإلا سأشتكيه لإساءته استعمال السلطة

وبقينا هكذا نتبادل النظرات الغاضبة حتى أعاد إليَّ أوراقي وقال: تفضَّل. متمنيًا لي -على مضض- التوفيق

قلت لصديقي الهندي: وألا تخافون من رجال الشرطة؟

قالي لي: لا، هنا القانون يحكم التصرفات، وهو فوق كل اعتبار

****

استيقظ ابن الرئيس في وقتٍ متأخرٍ عن موعد العمل، فهرع باتجاه وسيلة من وسائل المواصلات العامة لكي ينجو بنفسه من هلكة الازدحام، ومن فرط العجلة نسي أن يقطع تذكرة تجيز له الركوب، فلما وصلوا وتوقفت العربة في الموقف المأمول، وظنَّ أنه من فعلته ناجٍ غير مسؤول، أتاه المفتش يسأل عن أحقيته في الركوب والوصول

فتبيَّن له التَعدِّي، فأبى أن يمررها بصورةٍ ودِّية

بل جازاه بالغرامة، ضِفْ عليها انتشار الخبر والتوبيخ الصحفي والملامة، حتى قال قائل: أعوذ بالله من العدل والكرامة، نسأل الله السلامة!

****

كان طالبًا عربيًا مبتعثًا في إحدى الجامعات الغربية، ينهل دروسه من أبرز المتخصصين في المجال وأمْهَرِهم

ولما اقترب موعد امتحانه المصيري في إحدى المواد كان متخوفًا من الأستاذ، لأن الاثنين يختلفان في مرجعيات التفكير والثقافة وينطلقان من زوايا متباعدة ولا يلتقيان إلا في المبادئ العامة، وفي غير هذا لا يتفق مع أستاذه في شيءٍ البتة

لماذا يخاف؟ لأن في بلاده الأم، أن تختلف مع الأستاذ في التفكير والرأي هذه دلالة على عدم نجاحك حتى قبل الامتحان، وأيضًا يخاف لأن طريقة الامتحان شفهيَّة، تتعرض بصورةٍ رئيسيةٍ لكيفية إجادة الطالب الشرح والإقناع بأطروحاته الفكرية، وتَقيس مهارة النقد والتفكير لدى الطلاب. فلمَّا بدأ الاختبار، راح الطالب يعزز من آرائه ويدعمها ويهاجم ويُسفِّه المنطق الآخر الذي يتبناه الأستاذ، ولما انتهى خرج وهو يقول لنفسه: المهم أن أكسب المبدأ وأن أقول رأيي حتى لو غَضِب ولم يُجِزني

ظهرت بعد حين النتيجة، فإذا الطالب ينجح بعلامة موفورة الكمال، بعد أن تبدَّى له أنها ضربٌ من ضروب المحال

فذهب يبحث عن أستاذه ليتقصَّى الحقيقة فوجده يبتسم ويقول له: إن وظيفتي ليست أن أجعلك تفكر مثلي، لكن أن أعلمك كيف تفكر.. أنت تفكر جيدًا، وتستحق هذه الدرجة

****

بعد مقتلة مسجد النور النيوزلندي الشهيرة، الذي نفَّذها أسترالي، خرج أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأسترالي -وهو يميني متطرف، معروف بكراهيته الإسلام والعرب- ليبرر فِعلَة مواطنه ويُلقي اللوم على المسلمين المهاجرين الذين وصف دينهم بالعنيف، في أثناء ذلك باغته مراهقٌ أستراليٌّ غير مسلم في مقتبل العمر ليفقس بيضةً على رأسه في مشهد أصبح في غمضة عين حديث وسائل الإعلام جميعها، ليُمسي ذلك المراهق بطلًا عالميًّا، يلقى التشجيع المادي والمعنوي. لكن ماذا فعل بكل الدعم والتأييد؟ جمع التبرعات لأُسر الضحايا وقال: هل من مزيد؟ وسعى إلى مُقاضاة السيناتور العنصري، واشترى كمياتٍ من البيض لأجل أعداء رابط ودين الإنسانية

****

بعد حادثة جورج فلويد -القتيل الأمريكي ذو الأصول الإفريقية- التي شغلت الرأي العام العالمي، وفي أثناء مطالعتي المظاهرات السلمية التي سرعان ما تحولت إلى أعمالِ شغبٍ وتخريبٍ لم يخرج مسؤولٌ فيها للتخوين والتأليب

وامتدت إلى كل أصقاع البلاد لتُنَدِّدَ بظلم السود والاضطهاد

فدامت مُدَّتها إلى ما يقارب الشهر، وكان عنوانها

"من يبتغي الكرامة.. لم يُغلِها المهر"

والأعجب خروجهم في مدة الوباء كأن لم يخافوا من عدوى أو ابتلاء

قلت لصديقي الأمريكي: ولكن لقد أضررتم بالبلد والاقتصاد!

فقال: أنتم تتهموننا بالمادية، وها أنتم تنظرون إلى الخسائر الاقتصادية وتنسون الانتصار لقيم الإنسان

أجبت: أصلح الله الأمريكان، وما يُدري العربي ما هي قيم الإنسان؟!

التسلُّط العائلي

قيل قديمًا: "من الحب ما قتل"

وهذا المثل تحديدًا، ينطبق على محبَّة الأهل

تستغل كثير من العائلات بحسن أو بسوء نية طاعة الأبناء وأهمية الرابطة الأسرية في مجتمعاتنا، بجانب استغلال الدعامات الدينية بين مفهومي فضيلة البر ورذيلة العقوق، لتصبغ تسلُّطها وأنانيتها بصبغة الدين الذي يُرضِخ كل من تُسوِّل إليه نفسه بالمخالفة

وإن العائلة والرابطة الأسرية بقدر مكانتها العُليا في التاريخ الإنساني وثباتها كأجمل علاقة بشرية، كانت ولا تزال -خصوصًا في المجتمعات الإقصائية- عائقًا ومثبطًا وحابسًا لكثير من الإبداعات والطاقات المعطلة

ثم نسأل: لماذا الاعتلالات والانفصامات والضعف الذي يعتم على شخصيات الأبناء؟

كم شاهدنا حالات طلاق تسببت فيها والدة الزوج لغَيْرتها المفرطة على ابنها كأنها ضُرَّة!

وكم رأينا من شاب وفتاة حُرموا من فرص دراسية ووظيفية بسبب خوف الأمهات والآباء!

وظنِّي لو أطاع ابن فرناس خوف أمه، لما توصل واكتشف وسيلةً للطيران، ولو استمع فيلكيس إلى نداءات أسرته العاطفية، لما سُجِّلَ كصاحب أفضل وأسرع قفزة من الغلاف الجوي إلى الأرض

وقِس على ذلك

وكم من فتاةٍ ألبسوها الفستان الأبيض وهي كارهة

راغبة في إكمال تعليمها والبقاء طفلةً عذراء، لكن الجشع أجبرها!

وما استغلال النموذج الديني التصوري للطاعة المطلقة للوالدين إلا صورةٌ من صور النظرة القاصرة لدى البعض، ومُسوِّغٌ من عدة مسوغات يتم على ضوئها تبرير التسلط

وقد لا يتولد التسلط الأسري حُبًّا في الجبروت ذاته ورغبةً من عند أنفسهم كما يتصور البعض، بل قد تصدر غالب الأفعال عن رغبة في حماية الأبناء وإراحتهم

لكن لا يدرك الآباء أن لأبنائهم طموحات وأماني لن تكون الراحة إلا بتحقيقها!

ومع مرور الوقت، يصبح الاستبداد هو الأمر الطبيعي، أما ترك الحرية للأبناء هي الحالات الاستثنائية، وذاك لَعمري مؤشرٌ خطير!

ومن المُلاحَظ، أن أسلوب التسلط يصبح سمة أساسية في المجتمع عندما يتجذر في العائلة بالمقام الأول، ليتحول إلى صفوف الدراسة بإشراف الأستاذ ثم في منظومة العمل الوظيفي تحت إدارة المدير الآمر الناهي

وتستمر السلسلة وتتبدل الأدوار، ليكون مُضطَهَد الأمس ذو العُقَد النفسية هو مُتسلّط اليوم الذي يَضطهِد متسلطي الغد

ثم يصبح فرض الوصاية مفهومًا طبيعيًّا متأصلًا ضاربًا بجذوره في أعماق البيئة المجتمعية

فقليلًا من المساحة أيها الآباء العقلاء، لحياة أفضل لأبنائكم

ولا أرى أنها ستقوم قائمة لأي أمة وأفرادها مُقيَّدون، فكيف إن كانوا مقيدين ومعزولين ومغطى على أعينهم بإحكام؟!

إن الحضارة الغربية لم تقف على قدميها إلا بعد أن اتَّسَم أفرادها بالحرية بصورةٍ كافيةٍ منحتهم الحق ليفكروا وليتساءلوا وليتحدثوا ويبتكروا!

إذ أطلقوا العنان لأسئلتهم وقالوا: لماذا؟ وكيف؟ وقد تبدو للوهلة الأولى أسئلةً سخيفة، إلا أنها حرَّكت المياه الراكدة في العقول وصنعت الفلاسفة، واسألوا فولتير

وما الإبداع والابتكار إلا نوعان من أنواع الحرية

والإبداع هو الخروج عن النمط المألوف

فالفردُ إن شعر بحريته ترك التقليد، لأن التقليد نوعٌ من التقييد ومضمونه ضعف المرء، فلما انتزعوا -قاتلهم الله- حريتهم أو نالوها، استفردوا وابتكروا وأبدعوا

وهذه الدعوة ليست دعوة إلى الانقلاب على الآباء والفردانية المحضة واتباع الغرب المادي في شؤونه صغيرها وكبيرها، لكنها دعوة هادئة إلى التفكُّر في مآلات هذا النوع التربوي السلبي

وقد يفرح بعض الأرباب بهذه العبارات ويجنح لإطلاق سعار أولاده

ولكني أقول لهم: مهلًا.. ما هكذا تورد الإبل!

على المُربِّين قبل ذلك إرساء قواعد دينية وفكرية منهجية صلبة في أذهان الأبناء منذ وقتٍ مبكر، وغرس الثقة فيهم وحب القيم الأصيلة والتمسك بالمبادئ أولًا؛ هكذا تستقيم الفكرة

إنَّ نِسَبَ الأمراض النفسية -التي هي حتمًا ناجمة عن شعورٍ بالإحباط واهتزاز الثقة بالنفس والتهميش، بل والتعنيف- نِسَبٌ مخيفة

امتلأت دور الرعاية بالفتيات وهرب الشباب إلى ملاجئ كندا وبريطانيا، وآخرون ينتقمون من أهليهم ومن أنفسهم في أحضان المنظمات الإرهابية، ألا يكفي ما جنته أيدينا؟

أرجوكم، إنها دعوة صادقة لمراجعة أنفسنا، إن كنا نريد لأبنائنا حياة أفضل منا، نريدهم مفكرين، مبدعين، ومستقيمين دون عِلَلٍ نفسية

فاعلموا أنه آن الأوان لنعتق رقاب الأبناء لشخصياتٍ ولمستقبلٍ أفضل

فأرجوكم، قليلًا من الحرية أيها الآباء العقلاء!

لماذا نخاف الديموقراطية؟

مفهوم الديموقراطية هو غربيٌّ في شكله، لكن في مضمونه هو أمر عميق الجذور داخل الثقافة الإسلامية، ولا يختلف المفهومان إلا باختلاف البيئة الموجِدة لهما

وهاكَ القرآن الكريم فاقرأ سورة (الشورى)، ولتقع عينك على وصف الله تعالى لذلك المجتمع الإسلامي بـ{أمرهم شورى بينهم}

وقد أوصى الله نبيه الكريم أن {شاورهم في الأمر}

أي: تفعيل خاصية الحوار والنقاش تحت الراية الشرعية

إلا في الحالات القصوى التي كان يُفصَل فيها بقرار حاسم بوحيٍ يتلقاه -صلوات ربي عليه وسلامه- من جبريل -عليه السلام- نقلًا عن ربه جل جلاله

ولا يتوقف هذا المفهوم -الحوار أو الديموقراطية- عند كونه نظامًا سياسيًّا فقط، بل هي فلسفة تحكم العلاقات الاجتماعية كلها أيضًا

ولعل العلاقة تكاملية لا ينفك بعضها عن بعض

ومن الطريف المحزن، أننا كنا نتوجَّس الخيفة عند سماعنا هذه المصطلحات الدخيلة (ديموقراطية، حرية، إلى آخره)، ونظن أننا على شفا حفرةٍ من رؤية الكاسيات العاريات يركضن في الشوارع،

لذا كان من الطبيعي اتهام قائلها في تلك الحين بمحاولة غربنة المجتمع وألحدته

لكن أقول: إن كانت هذه الغربنة تجعل المجتمع مجتمعًا متحضرًا

فأهلًا بها، وأنعِم وأكرِم

يجب ألا نكون مصابين بفوبيا الغرب، فالإسلام أباح استيراد كل صالحٍ منهم من منتجات صناعية وفكرية، لكن المسألة ليست مسألة غرب وشرق كما نرى

بل صنع بيئة فاعلة ومناسبة

لإتاحة أكبر قدر ممكن من المشاركة والإبداع

فعلى سبيل المثال: الأب الديموقراطي يجعل أبناءه يستشعرون قيمتهم، إذ يسألهم ويناقشهم ويحاورهم ويعطيهم الصلاحيات لكي يُظهِروا إمكانياتهم ويصقلوا شخصياتهم، ويكفيهم من هذا النشأةُ السليمةُ في بيت تسوده أجواء الودية والحميمية

أما الأب المستبد الذي تنطلق أفعاله كلها من رأيه وحده، وقرارته نابعة من إرادته الصرفة، وتسري طوعًا أو كرهًا على أفراد أسرته، فإنه يَحرِم أسرته استشعارَهم بقيمتهم الإنسانية، وحتمًا يفُقِدهم

شعورهم بالحرية وبكونهم أفرادًا قادرين وفاعلين في محيطهم، ولهم حق الاختيار بالموافقة أو الرفض حتى يسري في عروقهم الخوف والترحيب بالاضطهاد والانصياع لكل طاغية، مما يوصل إلى نتائج غير محمودٍ عواقبها

وهؤلاء الذين نراهم اليوم يرفضون الديموقراطية والحوار، يبدو لي أنهم عينة من الذين تشبعوا بالاضطهاد فأدمنوا عليه

لذلك قيل:

"إن الطيور التي تولد في القفص، تعتقد أن الطيران مهمة قبيحة، أو مستحيلة!"

قضية المرأة

بدايةً، أود التنويه إلى أنني لستُ من دُعاة التحرر الانسلاخي والتطبع بالأخلاقيات المادية للغرب والشذوذ عن كل صراطٍ مستقيم، وكذلك لست دوغماتيًّا ساكنًا متوقفًا في القرن الثامن للهجرة

لكني أرى أن من يقول إن المرأة في مجتمعاتنا أخذت حقوقها وإنها مُكرَّمة ومُصانة، ما هو إلا أحد اثنين؛ صاحبُ دجلٍ أو واهم

ومن الضروري أن تضع في ذِهنك أنني لست داعيًا إلى تحرير المرأة رغبةً في الوصول إليها

معاذ الله!

فأنا شخصيًّا من أشد الكارهين لهذا الجنس البشري الغريب لأسباب كثيرة، أحدها أصواتهن العالية، بجانب حبهن الشديد والغريب للنفاق

ولكن ليس ذاك مانعي من الحياد والإنصاف، وما على النساء إن أحببتهن وإن كرهت، ما دمت أنصفت ولم أظلم

نعود..

إن اختلاف الظروف والمعطيات بين الأزمنة، والتطور الفكري لدى الجنس البشري يسير كما هو المفترض لتحرير الشعوب والأفراد من القيود التي أثقلت الكواهل منذ مئات بل آلاف السنين، باستغلال كهنوت الدين والجهل المنتشر، وامتلاك القوة والنفوذ الذي أدى إلى إخضاع الأسْوَد عبدًا خادمًا للأبيض والمرأة سبيَّة تُباع وتشترى في أسواق النخاسة

حتى نزل محمد -صلوات ربي عليه وسلامه- ليجعل الناس سواءً وبالتقوى يتفاضلون، نزل لتحرير الناس من طاعة وعبادة البشر إلى عبادة رب البشر، تبارك اسمه وتعالى سلطانه

ولم يكن تغيير صور الحياة الجاهلية كافة دفعةً واحدةً حينها أمرًا مُستَحْسَنة عاقبته، بل أي قائد فذ يتدرج في إحلال التغيير حتى يهضمه الناس

واليوم لا نجد بُدًّا من طرح مسألة المساواة، إلا فيما حكم الشرع، وقد ازدهر العلم والتطور الفكري وتوازنت الكفة بين البشر

وأعلم ما قد يصيب بعض الرجال عند سماع عبارة حقوق المرأة والمساواة من تشنجٍ في الأعصاب وقضم للأظافر والتبول اللا إرادي، لأنني كنت منهم

لكنني ألمح ضوءًا من بعيد يقول إن تقبُّل هذه الدعوات يتطلب مجرد وقت، كما تقبَّل المجتمع كثيرًا من الأفكار الحديثة بعد سنواتٍ من الاستهجان

وفي ظني أن الرجل الحقيقي لا ينبغي له أن يخاف المساواة بينه وبين المرأة، بل عليه ألا يجد إشكالًا في التعامل بهذا المبدأ، حتى لو لم يكن ينبع من قانون متفق عليه

ومن ذا الذي يرضى باستغلال دعم القوانين والأعراف له ليبسط نفوذه ويتسلط على نسائه، فضلًا عن نساء مجتمعه، ليحرمهنَّ من أبسط مقومات الحياة الكريمة؛ حق الاختيار النابع من إرادة حرة مستقلة!

المشكلة غير ناتجة من موروث فكري قديم اعتاد الناس عليه فقط

إذ توجد قِلَّة من الأُسَر متفهمةٌ وتمنح الحق لنسائها بصفة ودية

إلا أن ذاك ليس كافيًا إن لم تُضمَن حقوقهنَّ قانونيًّا

وهذا ما يحدث الآن بفضل جرأة القرارات التي صدرت مؤخرًا من سماح باستخراج جواز سفر أُسوَة بالذكور، وحق اتخاذ قرار إجراء العمليات الجراحية، وأكثرهم أهمية كان تعديل قانون الأحوال الشخصية، الذي ينص ويجبر الزوج على حضور زوجته لإتمام

الطلاق والاتفاق على النفقة

ولك أن تتخيل أنه في السابق كانت تتطلق المرأة وتخرج من ذمة زوجها وهي في بيتها لا تدري! ناهيك عن تعقيد مراجعاتها للدوائر الحكومية بحجة ولي الأمر، والمضحك أنها قد تكون أستاذة أو طبيبة أو عالمة فضاء ولا تستطيع إجراء عملية جراحية لأن أهليتها تظل ناقصةً إلى أن يأتي المحرم وولي أمر

ولا أظن أننا -نحن الرجال- كنا نتقبل في المرحلة الثانوية -على سبيل المثال- إجبارنا في كل خطوة نخطوها على موافقة وإمضاء المخول بالولاية، فما بالك بامرأة كبيرة تجاوزت العشرين والثلاثين والأربعين والخمسين!

وإن كان الخوف والحرص هو المانع، فعلى الدولة وعلى كل أبٍ يخاف هروب فتياته أن يراجع نفسه ومعاملته لهن، وليتأكد إن كان ذا منزلٍ توفرت فيه الأجواء الصحية والمعاملة بالحسنى والمفاهمة بالحوار وتوفير المعيشة الكريمة، أن رعيته لن تهرب، وكل ما سيختلف هو جعلهنَّ قادراتٍ على التصرف واتخاذ القرارات، والشعور بكونهنَّ راشدات لا يحتجنَ إلى رقابة ووصاية

بل ما من مسوغ يجعلهنَّ يفكرن بالهروب، إلا إن كان ربُّ البيت رجلًا متسلطًا يقمع ويضطهد ويُعنِّف وينفذ رغبته فيهن بالحديد والنار

وعلى من يتخذ الإسلام ذريعةً أن يذهب ويقرأ عن ليلى بنت عبد الله، أول من وقفت في الحسبة على الأسواق في الإسلام في خلافة الفاروق عمر، ومَن أعدل من الفاروق!

ألا تكفي الدلالة الرمزية التي وضعها عمر -رضي الله عنه- حينما جعل الكفاءة هي المعيار لأخذها هذا المنصب، وليس كونها ذكَرًا أو أنثى؟

وألا يكفي التأريخ لخير النسوة في عصر صدر الإسلام، حينما كُنَّ يخرجن لمداواة الجرحى والمصابين في الحروب، مثل نسيبة بنت الحارث، وكأول جراحة في الإسلام رفيدة الأسلمية؟

وألا تكفيكم سيرة سكينة بنت الحسين بنت علي بن أبي طالب، بنت سبط رسول الله! التي كان يجتمع لها في مجلسها العلماء والأدباء والشعراء من كل مذهب لِتُناقشهم وتحاججهم وتردهم على أعقابهم خاسرين؟

كيف بنا الآن إذًا ونحن نزدريها ونقلل من دورها الفكري والاجتماعي؟

ما لكم كيف تحكمون!

لا يساورني الشك في أن حكومة المملكة تدرك جلية الأمر وتضع هذه النقاط في الحسبان

لكن ماذا عن الرجال؟

أليس من الأجدى -تربويًّا- أن تَمنحوا لنسائكم هذا الشعور بالأهلية والرشاد قبل أن تُرغَموا عليه عاجلًا أو آجلًا؟

وماذا عن النساء أنفسهن؟

أليس من الأجدى للمرأة ألا تستمر في وضع نفسها داخل أُطُرٍ محدودةٍ وضيقة، وأن تنأى بنفسها عن مواقع الزلل وتكف عن تجسيد الصورة النمطية الهزيلة التي تتمحور حول دقة الخصر واتساع الجفون؟

أما آن الأوان لتثبت أن لديها العقل المؤثر والفكر الفعال، وأن تدرك أن بيدها قدرة صنع الأجيال؟

فإلى متى تعزل نفسها وتترك مهمة الكفاح والتشييد والبناء للرجال؟!

إن لم تفطن المرأة إلى قدراتها وتؤمن بها، فلن تنال ما تستحق من الحق والاحترام

فمتى يبلغ بنيان حقوقها واستقلالها مقامه العالي، إن كان البعض يبني والبعض الآخر يسيء التصرف ويهدم؟!

خاتمة:

"النساء شقائق الرجال، ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم"

معنى شقائق: نظائر ومثيلات الرجال

الصفاقة الإلكترونية

خلا لكِ الجو فغنِّي وأطربي.. وخرِّبي ما شئتِ أن تُخَرِّبي

منذ أن تضعضع عرش المحروسة الورقية بعد ظهور ما يسمى بالصحافة الإلكترونية والقيمة الصحفية في انحدار، ساعد في ذلك انتشار رقعة هذه الدعيَّة وكثرت ملاكها، حتى إنه قيل لي تبقى أربعة أفراد لم يؤسسوا صحفًا إلكترونية، فحمدت الله أنني منهم!

تقول إحدى أشهر النظريات الاقتصادية (العرض والطلب)، أنه كلما قلَّ وجود الشيء وقلَّ الطلب عليه زادت قيمته، وكلما انتشر وسهل الوصول إليه أصبح بلا قيمة

هذا تمامًا ما حدث مع الصحافة الإلكترونية التقليدية، فقد تحولت من وسيلة إخبارية إلى وسيلة استعراضية، يترزز من خلالها صغار المسؤولين ليعوضوا عن عقدة النقص التي تولدت جراء إهمال الصحافة الورقية والإعلام الحقيقي لهم

وأضحت لكل منطقة عدة صحف، وقلما تجد قبيلةً لم تواكب هذا التطور فتركب الموجة وتجعل لنفسها صحيفة تحمل اسمها، لتتباهى بجلساتها واجتماعاتها وتخرُّج أبنائها والمباركة لعرسانها والتعزية لمفقوديها، ولو كانوا اجتمعوا في قروب واتساب لكان أجدى لهم وأنفع

لن نبكي على أطلال المحروسة، فذاك غير مُجدٍ، ولكن وجب التوضيح أن ما يفعله هؤلاء لا يمس العمل الصحفي بِصِلة، إلا في القليل النادر

فهم حطوا من قيمة الصحافة حينما جعلوها وسيلةً للتقرُّب والتملُّق على حساب العمل الموضوعي النقي، إلا ما شاء الله منهم

وهذا ليس بجديد، فيوجد أيضًا من قد أساء إلى الصحافة الورقية عندما حولها إلى وسيلة للمدح والتطبيل لا للنقد والتحليل، ولكنهم كانوا قلَّة

وبخلاف ذلك، هي لم تقدم فائدة حقيقية ملموسة للمواطن تضاهي حجم وجودها

ويتضح للمراقب أنها صفحات افتراضية تنسخ وتنقل الأخبار بغير تدقيق، ما قد وصل ببعضهم إلى أن ينقل تهنِئات دولة الجبل الأصفر إلى قيادة المملكة، وأيضًا إدانتها لتجاوزات الحوثي

ونقرة واحدة على محرك قوقل سيثبت لك أنه ليس هنالك ما

يسمى بدولة الجبل الأصفر، وما هي إلا دولة وهمية فقط، وشر البلية ما يضحك!

نقل إليَّ أحدهم أن أغلب القائمين على هذه الأعمال مجموعة من كبار السن المتقاعدين، وشيوخ قد هَرِموا فوجدوا أن هذه تجارة رابحة، بجانب مكاتب العقار، سهلة وغير مكلِّفة إلا في اقتراح الاسم وتصميم الشعار والبحث عن أحد الإخوة المتفرغين ليشتغل على مسألة جمع الأخبار ونشرها بصورة يومية، إلى جانب استغلال احتياج بعض الكتاب إلى منصة تبرز أعمالهم

وقال: يتم تحقيق -بعد انتشار الصحيفة بفضل هذه الطريقة- دَخْل معقول من بعض الإعلانات وكسب علاقات الموظفين -في بعض المؤسسات الخدمية- الذين يتم تصويرهم ونشر أخبارهم من مناسبة إلى أخرى

وإن صدق قائل هذه المعلومة -وما أظنه من المفترين- فلا غرو أن نشاهد هذا الانحدار المهني، لذا يجدر بنا حينها تغيير اسم هذا النوع من الصحافة الإلكترونية إلى: (الصفاقة الإلكترونية)

الغِشُّ المُباح.. لجلب السُّيَّاح

كان لدينا في الحي بائع خُضار اسمه العم محمود، بلغ درجة الاحتراف في بهرجة منتجاته، كان يزين الرفوف ويجعل المطبوعات الدعائية المصوَّرة على أبواب الدكان بأجمل الأشكال والألوان، وكان يمارس تضليل زبائنه باستمرار بحيث يُبرِز القطعة الوحيدة الصالحة ويخفي وراءها الحقيقة المُرَّة لعشرات القطع الفاسدة المتعفنة، ويملأها بأكياس مرتاديه ثم لا يكتشفونها إلا بعدئذٍ إن أصبحوا في المنزل. ولأن القانون لا يحمي المغفلين، لا يمكن لهم العودة لاسترجاع أموالهم، فيقعدون غاضبين متندمين

استمر العم محمود في تضليله وتمادى ما شاء الله له أن يتمادى، حتى بدأ يفقد مصداقيته وشعبيته عند أبناء الحي وتدريجيًّا أصبح كل ما يُدِرُّ من دخل مصروفات بعض الأغراب الذين لم يعرفوا بعد الطرق الملتوية التي يمارسها العم، وبالتأكيد لم تُغني عنه شيء هذه الموارد القليلة مما أدى أخيرًا إلى إفلاسه بطبيعة الحال

وهو يذكرني أيضًا بتاجر عقار همه الربح السريع، فكان لا يرعوي من بناء المباني المتهالكة ضعيفة البنية وبيعها وتأجيرها للناس دون أن يبذل مشقَّة توازي ما يلتهم من الأموال

قال صديق: ذكرتني هذه القصص ببعض الإعلانات الدعائية لهيئات سياحية نراها اليوم في بلداننا، فكلاهما يمارس التضليل

الدعائي الذي يُظهِر الصنف الصالح الأوحد ويترك العيوب كعنصر مفاجأة

بات الجميع يدرك أهمية السياحة في الميزان الاقتصادي والحضاري والثقافي لدى الشعوب المتقدمة التي عملت على أوطانها حتى استحقَّت ما عاد عليهم جراء هذا التطوير

لكني شخصيًّا أستغرب من حشد كل القوى الإعلامية الدعائية من مؤسسات وأشخاص لإنجاح مواسم السياحة الداخلية في عشيةٍ وضحاها

دون أن يسبق هذا الترويج إصلاح للبِنى التحتية والمرافق العامة وإعادة النظر في العقوبات المرصدة على أسعار المطاعم والفنادق النارية

إن فكرة الربح السريع هي فكرة العم محمود نفسها، الذي ما إن يعود زبائنه إلى بيوتهم حتى يأخذوا على أنفسهم العهود والمواثيق أنهم لن يكرروا تجربة التعامل معه أبدًا

بعدما اكتشفوا وقوعهم في فخ الغش المباح لجلب السياح

خاتمة:

أعلن أحد المسؤولين عن منطقة سياحية داخلية خطيرة تستحق الزيارة

فاستلم مبلغ الإعلان، ثم بحث عن أقرب رحلة طيران

ليُصوِّرَ جزءًا في النمسا وجزءًا آخر في اليونان

وكان يضحك ويقول: لا تنسوا زيارة أبها ثم المرور بجازان

الرد المجاني على ادعاءات القحطاني

لانقطاعي المستمر عن مواقع التواصل، بعثَ إليَّ صديقٌ بصورة لتغريدة خرجت مع ارتفاع أعداد المصابين في منطقة جازان ومحافظاتها، عبر هاشتاق في تويتر #جازان_تحتضر_من_كورونا

فقام أحد مُقتنِصي الفرص واسمه "أبو عزوز القحطاني" وقال:

"كلما قلَّت النظافة زاد وانتشر المرض، ومعروف عن أهل جازان قِلَّة النظافة..." وأتمنى أن لا يزعل أحد من هذه الصراحة البريئة

وعلى الرغم من أنه لم يُكشَف لنا الحجاب لكي نعرف ما تخفي الصدور ولكن وصلتنا مرامي صاحبنا أبو عزوز

وأؤكد له أننا لن نزعل إن شاء الله، ولكن سنرد على هذه الادعاءات السَمِجة ما استطعنا، وسنُفصِّل الأمر قبل الرد إلى نقطتين مهمتين أوردها المدعي في بيانه؛ الأولى تخص مسألة النظافة، والأخرى ربط النظافة بأعداد الإصابات

ونرى بعد ذلك من فينا أهدى سبيلًا، فباسم الله

١- أما بالنسبة إلى النظافة، فجازان منطقة كبيرة متنوعة الثقافات في جبالها وسهولها وسواحلها، وفيها من بني آدم المتعلمون والمزارعون وأهل الرعي ورُكَّاب البحر، بالإضافة إلى مناخها الغالب الشديد الحرارة، مما يجعل -منطقيًّا- أهلها أقرب مودة إلى الماء وعاقدين معه الصداقات غير نافرين منه بمبرر برودة الجو، كبعض المناطق الأخرى التي يقطع سكانها علاقتهم بالاغتسال أجزاءً طويلة من العام. ولو شئنا لقلنا إن حرارة الجو هي تفسير ما يبدو أنه قلة نظافة، ولكن الأعمى لو وصَفْتَ له الألوان لم يفطن إلى ما ترمي إليه، لأنها خارجةٌ عن تصوره الإدراكي، وقد يصبح مثل المرأة الأرستقراطية التي رأت أحد الفقراء وقد بان عظمه واختفى شحمه ولحمه، فقالوا لها: إن هذا الفقير لم يأكل منذ أسبوعين. فقالت له وهي متأسفة: لماذا تتبع هذا الريجيم القاسي؟

فهي لا تعرف ما هو الفقر، فأصبح الجوع لديها مرتبطًا بالرجيم، كذلك بعض الإخوان -هداهم الله- يتكلمون عن النظافة ويرمون الاتهامات الجُزاف، وهم إما يجهلون الحقائق وإما يَقلِبونها ويرمون الناس بالحجارة وبيوتهم أوهن من بيوت العنكبوت

ثم لم يسأل المدعي نفسه: لِمَ قد تشتهر المنطقة وأهلوها بالروائح الزهرية العطرية الفواحة كالفل والكادي والريحان؟ أليس في ذلك جوابٌ لقومٍ يتفكرون؟ أليس لأنهم اتخذوها تيجانًا على

رؤوسهم وحُليًّا على صدورهم وزينةً لبيوتهم؟ فهل لأنهم في عداء مع النظافة كما يقول؟!

وما العيب في أن يكون في جازان قِلَّة قد طلقوا النظافة بالثلاثة دون رجعة؟ أليس في الرياض وفي جدة وفي مراكش وسان فرانسيسكو وكيب تاون من طلقها أيضًا لدوافع في نفسه؟!

والحقيقة، إن فكرته هذه لم تُبْنَ على معلومات مراكز البحوث والاستطلاع كما قد يضخمها البعض، إنما نحسبها جاءت من بغضٍ غير مُبرَّر، أو مقطع يوتيوب رأى فيه ما لا يَسُر، أو مرورٍ عابرٍ في أحد شوارع المنطقة رأى فيه شابًّا أشعثَ الشعر أغبرَ الثوب يلعب في أنفه ينتظر الإشارة الخضراء، أو ربما فكرة نقلها إليه صديق رأى الشاب ذاته

أي إنَّ تغريدته تفتقر إلى أبسط الحقائق الموضوعية!

ثم أُذكِّر أبا عزوز أن هؤلاء مسلمين يصلون الفروض الخمس فيغسلون قبلها أيديهم وأبدانهم ويغتسلون، ويتوضؤون ويتطهرون، ويتطيبون اقتداءً بالنبي ويتسوَّكون

فهل بقيَ للاتهام بعد كل هذا للقدم موضع وموسِع؟

٢- أما ربط زيادة أعداد المصابين بالنظافة، وهي النقطة الثانية التي تعرَّض لها في كلامه، فهي أيضًا فكرة لم يطرحها أحد حينما تصدرت الرياض وجدة ومكة قائمة المدن الأكثر تعرضًا للإصابات

فهل تكفي هذه الإجابة لدحض الافتراءات؟

أحينما يمرضون يكون السبب قضاء الله وقدره وعدم اتباع الإجراءات المعلنة

وحينما نمرض نكون أوسخ من يمشي على قدمين؟!

أين العدل والإنصاف؟!

ثم تعالَ لنرى، هل تنطبق هذه المعادلة على الدول الأكثر تعرضًا للإصابة في العالم؟

نسأل: لماذا لم يصبح الشعب الهولندي رازحًا تحت وطأة المرض، وهو بحسب دراسة أجرتها صحيفة "دي تلغراف" الهولندية مع مستشفى "يو سي" (في أمستردام - هولندا)، أكثر الشعوب انتهاكًا للتعليمات الصحية والقواعد العامة للنظافة؟!

وعلى النقيض، فالمملكة العربية السعودية من أكثر الدول التي تعاني من المرض على الرغم من أن شعبها -حسب دراسة أجرتها الرابطة الدولية "وين" عام ٢٠١٥- في مقدمة الشعوب فيما يخص الاعتناء بغسل اليدين والجسد

فهل هذه إدانة من المُغرِّد الذي حصر السبب في النظافة على أبناء شعبه؟!

ألا يعلم وهو الخبير في شؤون المنطقة -حسب ما يبدو- أن جازان وأبناءها كبعض المناطق الأخرى يعيشون على الهامش؟

فالمدينة تدخل عامها الخامس دون مستشفى يرعى مرضاها والمصابين، ولقد قرأت عن أهرامات مصر العجيبة فوجدتها بُنيت في سنواتٍ معدودات، ورأيت الصين في الأسابيع تُشيِّد المباني الناطحات، ونظرت إلى مدة بناء مستشفياتنا فَخُيِّلَ إليَّ أنها أعجب من عجائب مصر وأعتى من مباني الصين، فلمَّا صحوت أدركت أنها لا هذا ولا ذاك!

ما لي أراني ابتعدت عن مجرى المقال؟

هل لأني وجدتها فرصة لإدانة المسؤول عن هذه الحال؟

ربما!

فالمنطقة بأكملها تعاني من سوء القطاع الصحي وضعفه

ما قد يبرر تزايد حالات الإصابات، لوجود بعض السوء في التعامل معها

ولا نبخس في هذا حق العاملين المجتهدين، فهؤلاء لهم منا الشكر والعرفان، وهم أغنياء عن ذلك، نحسبهم إنما يفعلون ما يفعلون لوجه الله، لا يريدون منا جزاءً ولا شكورا

والآن، فهل تبقَّتْ لمن يتبنى هذا المنطق الافترائي حجةٌ لم تُدحَض؟

ولا يهم أن يغير المتبني رأيه بقدر ما يهم إيضاح الحقيقة

وبعد ذلك لكلٍّ حقٌّ في اعتناق ما يرى

وإن عدتم عدنا

والحقيقة، أنا أفهم أننا شعب منغلق على نفسه لا يتقبل الآخر حتى وإن كان ابن بلده، وأن في الصدور بغضًا غير مبرر لكل من يختلف مِنَّا وعنَّا

لكن لا أفهم مَن يطلب السكوت في وجه المزاعم المتكررة المُعلَن منها وغير المعلن بحجة العقل والأدب. ومع اختلافي مع أبو عزوز في طرحه وتبيُّن نواياه لي، فإنني مع حقه في قول الرأي ثم الردِّ عليه، ولقد سمعت أن المغردَ استُدْعِيَ للتحقيق معه، لكني ضد محاسبة كل مغرِّد ومراجعة كل رأي واتهام كل مختلف ومفاجأته بحساب "كلنا أمن"

فهذا سلوك يضر أكثر مما ينفع ويكتم أكثر مما يكبح

من الواجب أن يصبح الحوار هو الحل لإدارةٍ أسهلَ للمشكلات وتعويد النفس على قبول الاختلاف وعدم إشغال الحكومة بقضايا هامشية على حساب الأهم

ختامًا:

قلت لصديقي: ما رأيك في هذه التغريدة؟

فقال:

رمتني بدائها وانسلَّت

يا لكَ من حمار

لِرمضان بركاتٌ عدَّة، حتى قيل عنه شهر الاستغفار والاستثمار

ينتشر الناس بين المساجد والأسواق والمطاعم وأمام التلفاز، لكن هذا العام كان الأمر مختلفًا، فأبواب البيوت مؤصدة على من بداخلها، امتلأت البطون وحملقت الأعين، واحتشد الجميع أمام شاشات التلفاز، لتبدأ الأعمال الفنية تُعرَض واحدًا تلو الآخر حتى ساعات متأخرة من الليل

وكلما حاولتَ الذهاب إلى النوم قيل لك:

مش هتقدر تغمض عينيك!

وأنا شخصيًّا، لا أُحبذ مشاهدة التلفاز لقناعتي بسطحية المحتوى، لكن مع مرور الأيام، نفدت أعذاري ولم يُجدِ تهرُّبي نفعًا، فوجدت نفسي محاطًا بالأسرة أمام الشاشة

طال المكوث حتى أجزمتُ أنني شاهدت أعمالًا من أصقاع الأرض

كافة

يذهلني باستمرار الإنتاج الدرامي المصري، إذ بات الأفضل عربيًّا - بعد غياب نظيره السوري- لكونه النموذج الأكثر تميُّزًا في التسويق الوطني الداعم، ولتقديمه أيقونات رائعة سنويًّا يشوبها بعض الأعمال التي تتسم بالأيدلوجية البلطجية

في الخليج تتصدر الكويت، لا لجدارتها ولكن لخيبة أقرانها..

فالدراما الكويتية على الرغم من استنساخ أعمالها، فإنها تحمل قليلًا من الأفكار الهادفة، وبالطبع كثيرًا من مساحيق التجميل

بعيدًا في الخلف بمسافة شاسعة، تقف الدراما السعودية المُحتكَرة من قبل قلَّة من الوجوه، يُهَيمن عليها خط فكري مجوَّف من الداخل، لم يتغير منذ سنين، يقوم على فكرة واحدة وهي: الاستظراف والتهكم وتقليد اللهجات

ويبدو لي أنه ما زال الفكر الفني الإنتاجي السعودي يرتع في غياهب العقد الأخير من التسعينيات الميلادية، لم يواكب هذا التطور الثقافي والتقني الضخم ما يستحقه المشاهد

بل على النقيض، يُسيء إلى المشاهد وإلى المجتمع عندما يسبغ عليه صورة نمطية مجحفة وغير واقعية

ونحن لا ننكر دور السخرية كنوع من معالجة القضايا وطرحها،

لكن السنوات توالت على هذا المنوال حتى أصبح المشاهد يحفظ سيناريو هات الحلقات وعناوينها، فضلًا عن الوجوه!

فالحلقة الأولى تحمل فكرة الفروق المناطقية، والحلقة الثالثة عشرة تتحدث عن المعاناة السابقة من التشدد الديني

ودواليك

ولا أرى بوادر تحثُّ على التفاؤل ما دامت وزارتَا الثقافة والإعلام لم تقدما مشروعًا حقيقيًّا واحدًا لتطوير الإنتاج الوطني، ولن يُفيد بشيءٍ اختلافُ أمكنة التصوير والملابس وزوايا عمليات التجميل

فلو لبسَ الحمارُ ثياب خزٍّ

لقال الناس: يا لَكَ مِن حمار!

مصدر التعاسة

إن الفقر هو مصدر التعاسة والشقاء

لا مناص من هذه الحقيقة

لقد تحدث العلماء في هذا وأكثروا بغير طائل، منهم من قال الفقر، وآخر قال الجهل، وبينهم متدين قال الكفر!

وكما بدأت مقالي أكرر: إنه الفقر يا سادة، لا مناص!

إن قلنا الجهل، فكيف نرى هؤلاء الجهلة يسرحون ويمرحون، وهم -للحق- أحقنا بهذه التعاسة؟!

وإن قلنا الكفر، فكيف نبرر تمتُّع أممٍ كاملةٍ على حساب الفقراء المؤمنين؟

أستغفر الله أن يكون هذا اعتراضًا على ما قد قُدِّرَ وقُسِّم

ولا يعني هذا أن الجهلة ليس بينهم تعيس، وأن الكفرة ليس بينهم شقيّ، لكنها شقاوة وتعاسة خاصة بمقياس الأفراد لا تُعمَّم

وإن جئنا للفقر، تتبدل الموازين فتصبح القاعدة هي التعاسة والشقاء الأبديَّان وغيرهما هو الشذوذ عن القاعدة

إن تلك القاصرة التي يزوجها والدها إلى شيخٍ كبيرٍ يموت قبل انقضاء شهرهما الأول، مُسبِّباتُ ما يقع على حياتها من بؤسٍ وشقاءٍ من بعد تلك اللحظة هو عوز والدها، الذي باعها عند أول مشترٍ حتى قبل أن يتم نضجها

وإن ذلك العامل الوافد من بلادٍ بعيدةٍ إلى بلدة صحراوية ليكنس الشوارع ويمسح المراكب تحت أشعة الشمس وسط هجمات العجاج المتتالية، حتى ليتغير لونه ويهترئ جسده، ليس له من دافع وراء كل هذا الوهن والخور إلا الفقر

ومن يستطيع الإنكار؟!

إن الذي يمنع شابًّا أو شابة من إكمال التعليم ليس هو الجهل كما يُصوِّر البعض، بل هو الفقر، الحاجة الملحة التي تجبرهم على الاستعجال في العمل

ولأن أولئك المحتاجين أصبحوا دون تعليمٍ ولا تأهيل، فسيتَحتَّم عليهم الحوب والذلة والمسكنة، ثم التعاسة والشقاء

وأنت -كما يبدو لي- لا تدرك مدى الإحباط والتعس الذي يصيب المرء جراء سماعه اليومي المتكرر للمسائل الحسابية والتعداد من جمعٍ وطرح

لمصاريف المنزل التي باتت أو أوشكت أن تبيت من منغصات الحياة

يسأل سائل: وما قولك في الأغنياء المشاهير الذين نفروا من هذه الحياة بالانتحار وهم على عكس ما تدعي، من الفقر أبعد؟

سأقول له: هم فقراءٌ أيضًا! ولكن فقرهم من نوعٍ آخر

فهل سيتحول هذا العالم في وقتٍ ما إلى صراعٍ طبقيٍّ ضَروس بين فئة قليلة تستحوذ وتستملك بجشعٍ ونهم كل ما على هذه الأرض من خيرات، وتسوق السواد الأعظم من البشر الفقراء للانقياد والتبعية لها كما قال ماركس ومُنظِّرو الشيوعية؟!

إني أرى بوادر هذا في ظل استكبار الرأسمالية بغير هوادة

وما دام هذا قادم، فليقطع الله نسلي قبل ذلك اليوم، لأن الأحفاد لن يكونوا أحسن من جدهم الشقيِّ التعيس

Minimalism

منذ ازدهار الثورة الصناعية الأوروبية، وتحديدًا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومع ازدياد حجم التصنيع والتنافسية في المجالات التجارية، أضحت معاناة الشركات ليست في القدرة على التصنيع كما في السابق، بل في القدرة على التصريف، إذ إن الكل لديه السلعة نفسها، لكن الشطارة تكمن في تسويقها وجذب الناس إليها

استُخِدمَ حينها الترويج الاستهلاكي الخاطئ كحجر أساس ترتكز عليه هذه السياسة الوليدة، فهدفوا بمساعدة آليات الإعلام الخداعة لجعل المرء في حالة سُكرٍ دائم، هاذِيًا بالسلع الترويجية الثانوية التي يراها عبر شاشات التلفاز، وتحول المستهلك إلى كائن ممسوخ مسلوب الإرادة لا يقاوم الإعلانات، ثم سرعان ما تحول إلى وحشٍ منفلت، لا يكبح جماح شهواته ورغباته

إن اشتهى شيئًا أكله، وإن أعجبه زيٌّ اشتراه، وإن أصبحت الموضة السنوية في اقتناء أحد الهواتف النقالة سارع إلى الاصطفاف ضمن طابور المغفلين الطويل حاملًا كل ما امتلك من مال

وفي روايات: كل ما استدانَه، للوصول إلى هذه الغاية

ببساطة، شجعت هذه الثقافة الناس -بعد أن حرَّكت غرائزهم- على أن يشتروا ويأكلوا أكثر مما يحتاجون، وعلى أن يعيشوا في قلقٍ مستمر جراء اهتمامهم باقتناء أحدث الصناعات، وخوفهم من عدم تمكنهم من أن يصبحوا في مشترياتهم بمرتبةٍ سواء كالزملاء والأصدقاء والأقران

فلم يعد الهاتف من ذلك الوقت وسيلة للاتصال فقط، أو المركبة وسيلة تَنقُّل فحسب، إنما مظهر من مظاهر الحياة الهانئة السليمة!

ولم تعد القيمة في ما يكمن بين جنبيك، بل في ما ترتدي وبما في جيبك ورصيدك البنكي وفي الساعة التي على معصمك، وفي الحذاء الذي تحت قدميك

ولقد كفرت بهذه الحياة وتصوَّفت

وآمنت بالزهد والتقشف منذ زمنٍ غير قريب

والمفاجأة كانت عندما وجدتُ حركةً فنيةً غربيةً أسمَوْها

"Minimalism"، أي: التقليلية

روحها رهبانيةٌ وإسلامية، لكنها استُحدِثت فنيًّا بأحضان الغرب في القرن الماضي، ومن مظاهرها بساطة التفاصيل في المباني والشوارع والرسوم، لترسيخ الشعور بالجمال الطبيعي الأصيل،

وامتدت حتى أصبحت أسلوب حياة، ولأنها صنيعة الرجل الأبيض بات لها رواجٌ في العالم العربي، وإن كان قليلًا

تدعم هذه الحركة تقليل الماديات، والتخلي عن كل ما هو ليس ضروري، وتجابه بالوعي والتوعية المدَّ الاجتياحي الاستهلاكي الضاري

"الأقل هو الأكثر"

مقولة اشتهرت على لسان معماري أمريكي تقليلي، يشير فيها إلى أهمية التقليل والاعتماد على البساطة، ومن المثير أن مقولته هذه نسخة طبق الأصل من حديث رسولنا الكريم: "المكثرون هم المُقِلُّون يوم القيامة"

وهذا الحديث النبوي يدلل على الروح الإسلامية الأولى التي جاءت لترتقي بالناس وتزهِدهُم في النعيم الدنيوي الزائل لترغِّبهم في ما عند الله، وهو خيرٌ وأبقى

والأمر لا يتوقف عند حد مساوئ الرفاهية والبذخ، كلَّا، بل الخطورة كامنة في المواظبة والألفة على اتباع الهوى، فترك حبل النفس الأمَّارة بالسوء على الغارب لغائلة من كبار الغوائل

واتِّباع الهوى شيئًا بعد شيء يصُد ويُعمي العين عن الحق والصواب، حتى يهوي بصاحبه في قاع الدرك الأسفل ليُقال:

"هوى، من اتبع الهوى!"

فبئس العبد أن يصبح همه هواه وبطنه!

وفوائد هذه الحركة ليس تنشيط المجهود البشري فحسب

بل يصل الأمر إلى الإسهام في ديمومة الرفاه البشري والتوازن البيئي

نتاج التخفيف من الاستهلاك البشري المنفلت لعناصر الطبيعة

وأنا لا أقول لكم ازهدوا فيها ذلك الزهد السلبي

الذي يحولكم إلى مسوخ وكائنات طفيلية ويُفضي بنا إلى هلاك الأمة وضعفها وهوانها

بل أقول ازهدوا في مطامعها لكي لا يجد الهوى إلى مداخلكم سبيلا ولا يستطيع احدًا عليكم مَمسك ولتهون بأعينكم فلا تخافون فيها لومة لائم

لقد عاش النبي -ﷺ- ورقاب العرب له طائعة خاضعة، وصحبه يحبونه أكثر من حب أعوان قيصر وكسرى لملوكهم، إلا أنه قد يمضي عليه الشهر والشهران ولا يوقد في منزله النار، وما له من طعام إلا التمر والماء

وقد سمعت عن أحد الأئمة في القرون الأولى وقد قضى ستة عشر عامًا من عمره لم يشبع فيها قط، لأن الشبع يورده خمول الجسد والعقل

وهذا الخمول هو رأس الآفات

وذاك عمر بن الخطاب خليفة المسلمين، تشاهده الرعيَّة في ثيابه المُرقَّعة، حينما وجد ابنه عبد الله عائدًا من السوق وقد اشترى رطلًا من لحمٍ اشتهاه

فقال له عمر رضي الله عنه: ما هذا؟

فأجابه: لحمٌ اشتهيتُه

فغضب منه الفاروق وقال:

أوَ كُلَّما اشتهيتَ شيئًا أكلته؟ كفى بالمرءِ إسرافًا أن يأكل ما اشتهاه

وانظُر وقارن اليوم كيف تمتلئ البطون بالغث والسمين إرضاءً للفضول وللرغبات

وإني أعلم أننا لن نبلغ قيد أنملة مما بلغه الأوائل من العزِّ والشرف الرفيع

هيهات مهما حاولنا ذاك منا بعيد!

ولكن ما يضر المرء إن عمل بقول الشاعر:

تشبهوا وإن لم تكونوا مثلهم

إن التشبُّه بالكرامِ فلاحُ

فإن أبينا اتباع سيرة السلف النقيَّة، فتعالوا نتخذ فكرة الغرب مطيَّة!

الفلسفة الكلبية

لماذا لا نكون من أنصارها ؟

يعود تاريخ هذه الفلسفة لما قبل الميلاد، في بلاد الإغريق منجم الفلاسفة

ولقد تميز الكلبيون عن غيرهم بديمومة هذه الفلسفة الفكرية وتطبيقاتها العملية وإن كانت بمسميات مختلفة، ولكن جوهرها واحد : "اللامادية"

الرواقية, التشاؤمية, اللامادية, الرهبانية, الصوفية ..إلخ

كل هذه منسوجات نسجت على منوالها ولو حادت بعض الشيء

ماهي أفكارها ؟

الكلبيون أناس يمقتون الطبائع والأعراف البشرية لا سيما المادية منها ويرون أن الفضيلة كل الفضية تكمن في السعي للتجرد والبساطة، وتنبذ الشهوات والملذات وتزدري مظاهر الغنى والترف بل وتحتقرهما أشدّ الاحتقار

وقد عادت اللهث وراء السعادة

لأنها -كما يقولون- غاية غير موجودة، ووهمية بل سعادتهم هي صادق الشعور الذي ينبع من التخلي عن كل شيء مقابل السلام النفسي والاكتفاء الذاتي

لذلك تُحتّم على تابعيها الزهد مما يجعلهم يهملون المال والمنصب والسلطة بالمطلق

ولا يخفى على متطلع أن لديهم نوع خاص من النستولوجيا التي تحفز شعور معاداة المادية والتجدد

وديوجين هو الاسم اللامع والبارز في تاريخ هذه المسيرة

ويعتبره البعض أبو الكلبيين، وكبيرهم الذي علمهم الاستكلاب

وقد كُتِبَ عنه -ديوجين- في بعض المصادر القليلة ما يثير كثير من الاستغراب حول كيفية الطريقة التي كان يعيش بها

مما جعل البعض يصفه بالفيلسوف الأكثر تطبيقاً لفلسفته على أرض الواقع

لم يكن يؤمن بالمجتمع ولا بالدولة ولا بالممتلكات الشخصية

فقد أمضى حياته كلها وليس تحت يده شيء إلا مصباح يتجول به

بالمدينة في وضح النهار ليبحث عن رجل فاضل -على حد تعبيره- ويعود وهو لم يجد إلى غايته سبيلا، وبرميل يتقوقع بداخله لينام ويصحو، ويشرب به الماء، وحتى عندما اكتشف بعدئذٍ أن بإمكان المرء الشرب عن طريق كفّيه إن ضمّهما وتلقف وأستقى بهما راح يندب حظه ويلوم نفسه ويقول لقد أضعت عمري مع هذا البرميل الحقير

ولم تتوقف غرابة أفعال ديوجين الكلبي عند هذا الحد

لأن ما خُفي أفظع، سواءَ ما كان بشأن ممارسته الرذائل في الشوارع والأسواق وتجواله عارياً كأنه في غرفة نومه

أو ما كان بشأن احتقاره الشديد للبشر مهما بلغوا من الجاه

والحقيقة أنه ليس من الضروري أن كل الكلبيين بهذا العمق، فمنهم -حسب تأمُلاتي- السطحيون

وهم أناس منا وفينا، ونشاهدهم يومياً

فالذي يقف عند اشارة المرور في أقصى اليمين ثم يذهب بغتة إلى أقصى اليسار مُخلفاً وراءه الشتائم والحوادث ذاك كلبي بامتياز

والذي يأتي ليصافحك ويحضنك رغم كل التشديدات على التباعد الاجتماعي ذاك ايضاً كلبي من نوعٍ فاخر

والذي يوقف سيارته بمكان يسع سيارتين أو ثلاث ويسلب حق الآخرين إيقاف مركباتهم بجانبه هذا خليفة ديوجين البِكِر

وخوفي لو مضيت في التعداد لغدونا جميعاً من أتباع هذه الفلسفة دون إدراك

وهؤلاء السابق ذكرهم وإن لم يكونوا من مواليد برج الثور فهم للاستكلاب أقرب، إلا أنهم شوّهَوا بسطحيتهم جوهر الفلسفة العميق، وأصبحوا عِبئاً غثيثاً عليها

وللأمانة العلمية قد راجعت سِير كثير من العظماء ووجدتهم يطبقون مبادئ هذه الفلسفة، فخرجت باستنتاج مفاده أن كل عظيم مر على هذه البشرية لا يخلو من الاستكلاب الديوجيني الفلسفي

والآن بعد أن توصلنا لهذه النتيجة المطمئنة لم يعد هناك داعي للخجل ومدارات الأمور وكتمانها والخوف من التصريح

فأنا شخصياً سأستقبل اعترافاتكم بصدرٍ رحب أيها الكلبيون

بشرط أن تظهروا وتكفوا عن المناورات

ولأنني لا أحثكم على شيء إلا بعد أن أكون في المقدمة

هائنذا أقول : كلبي .. ولا فخر

صفقة القرن

يتابع أحد أصدقائي نشرات الأخبار بشراهة،

والطريف أنه لا يعتمد على المصادر المحلية في نقل الوقائع واستخراج الأسرار؛ لأنه يعرف مدى مداراتها - على حد زعمه - لكثير من الأمور؛

لذا يستند كثيرًا على الصحف الخارجية، والأجنبية لدقة مطارحاتها،

وحدثني ذات ليل عما يسمى بصفقة القرن، ونقلَ لي غاية استيائه

وبرغم انشغالي المتلاحق عن متابعة وسائل الإعلام إلا أني لا زلت أتحلى ببعض الحذاقة؛ مما يؤهلني للإدراك والتمييز بين الخطأ والصواب، ومجاراة ومناورة هذا الصديق في أحاديثه.

وقد كان للأمانة حديثٌ لا يُملُّ منه وعلى الرغم من اتساع حجم البون في الآراء - لصالحي طبعًا - إلا أني كنت ودوداً حليماً كعادتي.

إذ يرى أن هذه الصفقة أمرًا مرفوضًا قطعاً من الناحية الجماهيرية،

كما أنها مسألة غير قابلة المساس من الأصل

ولطالما حسبها – لسذاجته - أحاديث من نسج الخيال، وأمنيات

من أماني الخصوم التي لم ولن ولا تتحقق

وجاءت الأيام وأبدت ما كان يجهلُ

ولم تكن الجماهير بمنأى عن تداول هذا الموضوع تحديدًا، فبديهيًّا، ومن النظر لاسم الصفقة تدرك أنها صفقة عالمية لا تقتصر على فئة دون أخرى، وتأثيرها قد يطول الجميع بالسلب أو بالإيجاب

وحينذاك - أثناء حديثنا - كان المحللون قد ذهبوا مذاهب

مختلفة في التحليل والتفسير والتعليل

فمنهم من يرى حتمية الأمر وأنه شرٌ لابُدّ منه،

ومنهم من يؤكد أن هناك تواطؤ قد حدث في الخفاء من إحدى أطراف المفاوضات لولاه لسارت الأمور بشكلٍ أفضل

وبين هذا وذاك تاه المتابع المسكين

أما إن تساءلتْ أنت أيها القارئ - أو المخبر - العزيز عن رأيي،

أجيبك أني اجتهدتُ الاجتهاد المُضني في محاولة التأثير على رأيه وإقناعه بأن الأمر لا يستحق كل هذه المناكفات الحادة والغضب الجم، فأنا أوضحت رؤيتي للأمر التي لا يشوبها غبش،

فالجميع يحب اللاعب ميسي ويستمتع بوجوده بأرضية الملعب

ولم نتخيل ليومٍ واحدٍ خروجه من الفريق الكتلوني،

ولكن التغيير سنة من سنن الحياة!

أضحى اسم ليونيل الأبرز في قائمة لاعبي كرة القدم، ومن الطبيعي أن يصاحب خروجه وانتقاله للنادي الفرنسي العاصمي بهذا المبلغ الضخم كل هذا الضجيج، لا سيما وأنه لم يرتد غير ذاك الزي المعهود، وقد تحدث الآن للمرة الأولى؛

لذلك لا غرابة أن تُدعى هذه الصفقة بصفقة القرن.

تابعني صديقي حينما أبديت هذا الرأي بكل عجب ثم تخثر وجهه وتحول في ثوان، فإذا بهِ يرمقني وينظر إلي شزرًا،

أردف نظراته تلك وقال:

ولكني أتحدث عن السياسة!

فقلت: أعوذ بالله منك، أنا حدودي رياضة

تريد حذفي في المهالك؟

خَلِّ عنك ذي الخساسة

مآرب أخرى

تعريفات الوباء

كُلٌّ عَرّف من زاويته

القاموس:

هو مرضٌ يتفاقم بسرعة وما يُلاقي من دواء

الطبيب:

هو وصمة في عقول الأغبياء

الذين ونحنُ نشقى بالفواجع

يمرحون بِلا روادع

حتّى هرمنا تكرار النصائح وَعِبارات الرجاء.

مصاب:

هو داء
في الابتداء
يفقدك إحساس التذوق في الغذاء
ثم يتطور سريعًا فتفقد كل غالٍ
عن طريق العزل
أو صادق الدعوة لروحه بعد دفنه
في عزاء

تاجر:

هو انفراض الفارق الهائل بين مصروف المتاجر
وبين مدخول الشراء

عاشق:

هو الفراغ الناجم في محلات الورود
وهو أحوال المقاهي حين تشكو اللا قعود
لأنهُ تَحتّم علينا الالتزام بالقيود واللا لقاء

رجل دين:

بلاء

عمّ أرجاء البلاد

مثلَ نظراتٍ برعب إن سُمِع كَلِمة جِهاد

أو نظراتٍ بسُخف لكل من طوّل لحاء

امرأة:

أن يسلبوا مني الكيان

أو يصابوا بالجُنان

إن ذات ليلة كان بان

كعب ساقي من العباء

شاب عاطل:

الوباء

رفع منسوب الغباء

كألا أجد في بلادي فرصة عمل

وإن وجدت؛ حاربوني كي أَمِل
أن أواجه بالمتاعب والازدراء
ولكن في نفس الوقت يدعم شاب آخر
كان إنجازه الوحيد يمتلك مِليوْن متابع
كي يقدم، بشكل يومي: كل أنواع الغثاء

هكذا نستطيع القول:
تمّت مهمة رفع منسوب الحماقة والغباء

فقير:

هو إدراك الجميع بأن الفقر كافر
ومع ذلك ... لا مُبادر
إلا في فرض الضرائب والغلاء

أحمق:

هراء
وسوسة ... فلا يوجد ما يسمى بالوباء

والدليل:

الحمقى أمثالي في شواطئ بحرنا

من شديد اليُسر غنّوا

الطبطبة وعن الضحكة ذات الكهرباء

فأين عنهم ذا الوباء؟

حوار مع شاب عربي عن الوطن

- ما الوطن؟

• دم يجري في وريدي منذ تاريخ الولادة

هو من كان شريك فرحة أمي بالشهادة

وحزنها يوم يُغطّي ابنها

قطعة كفن

ذاك الوطن

هو عقيدة وفن

رحابة صدر, ليس تبخل بالحَضَن

وَمَلاحِم

صاغها الأجداد, ونقلوها في أحاديثٍ ذات شجن

في نخيله, في هِضابه وسهوله

في خَضاره ونشيده واللحن

في روائح جدتي
في مقالم رأسها
في دِهنِ عودٍ تُدّهن
وفي تلظّي النارَ لتطهو
كل خبزٍ في أناملها اعتجن

وهو بيت
لا أنطرد من رحمته إن ذِعت رأيًا في العلن
ولا أندرجَ ضمن الخوارج والخون

وفي إحدى المعاجم قيل:
مساحة أرض فيها قانونٌ يُسن
لثراها كل روحٍ ترتهن
ولا كرامة تُمتهن
ذاك والله الوطن

- إذًا؟

فيه إعطاء الحقوق كحقوقٍ لا مِنن

فيه ترسيخ العدالة, لا يُحابي

لينام القوم فوق آلاف الشبوك, والمباني

وتعاني

الأم حين تبحث عن سكن

ثم أيضًا

قالها قبلي حسن

قالها صادق لسانه ليس يُخفي ما بطن

"فيه توفير الوظائف والمهن"

ثم أنسجن!

• الوطن:

مكان لا يُؤخّر معاملة أمي زمن

ويُخيِّب فرحها, ثم يُهديها حَزن

ويَدعنِي أحلف حين أسمع شجوها أن أُدفِعهُم ثمن

بئس أولاد العفن!

فأين ذيّاك الوطن؟

- صه! يكفي لا تُثِر الفِتن
يبدو لي أنك مؤدلج محتقن
تلك سُنّة في بلادك, من يُغيِّر ذي السنن؟
اصبروا صبرًا جميلاً
كُلُّ حُرٍّ بالرزايا ممتحن

ظبيُ

ظبيُ
تمادى في غِيّهِ
قاصدًا أجلي

من جنسِ القوارير
وما كنت أحسب للقوارير
سُلطة على الرَجُلِ
حوراء ... والرمش مُكتحلِ
عسلاء ... تُطمِعُكَ في العسلِ
إن أقبلت تمشي ...
كفتاة مدين، تمشي على خجلِ
وإن أدبرت فالله درُّ المنظر الخلاب
فالشعر مُنساب
والخصر؛ يكادُ ينبَتِرُ من الثِّقلِ

يُسبّحُ عند طلعتها كل المخاليق
من بينهم طفلٌ، سمعته يدعو:
"آتنا من فضلك يا ذا الفضلِ"

والنهدان
كوكبان مسجونان
يُخيّل لي صراخهما من خلفِ القُبضان
وأرى حُسنهما رغم كُلّ الحيطان
يستجلي

والعينين، ما العينين؟
أخَّاذتُ الألباب سَحّارةُ المُقلِ
لم أطِق صبرًا
صارحتُها جهرًا:
- أما تتقي؟ ... أما نلتقي؟
أما أُشبِعُكِ قُبلًا

بدلًا

من الغزلِ؟

- قالت: معاذ الله

ما نِلتَ مِنّي، لو نلتَ من زُحَلِ

أو جِئتَ بالمصلِ

فأصبحت ليلى العفيفة

وبؤتُ بالفشلِ

ورع

أُيَمِّمُ صوبكِ كي أستريح
من عناء السياسة والمجتمع
آتي عَليلًا بقلبٍ جريح
مُثقل همومًا حدّ الهلع

أشهد جمالك فأغدو صحيحًا
فمن نور وجهك ليلِ انقشع
يضاحكني مبسم رقيق الرواء
يُشفي فؤادًا دماهُ الصَدَع
وأرنو لِحُسنِ شَفٍ مُستطاب
شديد الحُمُر قد غطّى النصع

تقولين مالك ومالِ للهموم
قد شاب رأسك وبان الصلع
ولازلتَ زهرة بأول ربيع

ولك بين جيلك كبير الوسع
تكابِدُ نفسكَ أمرًا جليلًا
وأنتَ أحقُّ بنيلِ الدلع

وهبتكُ نفسي وجسدي فداء
مالك لاْ تنبس؛ أُطلُب تُطع!
لك ما أمامي وخلفي سواء
فاقطِف ثِمارًا ثارت ينع!

وَدَفِّئ بِنارِكَ فِيَّ الشِتاء
وأنهل خموري كطفلٍ رَضِع
واْضممني وأحكم قبض اليدين
إلى أن أُؤوِّه بلحن الوجع
واسهر بصدري حتى الصباح
وإن شِئتَ نَم، فطوبى الهَجع
وأنسج بِحُسني بعض القصيد
وغازلني بالشِعر وتارة بسَجع

لكي تنسى أمة بدرب الضياع
ولم يبقى منها إلا البِضع
جَمَعهُم أراذل نبيٌ كريم
في شِعبِ مَكّةَ نُوره سَطع
مَكّنهُم العِزّ بعدَ الهوان
وهانوا برحيله وضلوا شِيع
ستجهد ثم تموت اغتمام
ويااليت كمدك يُنجب نفع
عبثًا تحاول تُحيي الرميم
مهما صرخت، وَهَبتَ صفع
تعالَ حبيبي وَطِع شُورَتي
نَذوقَ سوياً بعض المُتع
تُشقِّقُ عَنِّي بِضعَ القُماش
وقُبَلي تُخيِّط جُرحك رُقع

تقولين ذلك وأُنا في وجوم
كَسِلفي يُراقب فِعل البِدع

أحقًا ذي أمةَ كهفٍ رقود؟
أحقاً سمحتِ بعد المِنع؟
أفَكِر مَليًّا ... كيف الصواب
وقد زِدتِ حُبّي، سيل الولع
أرفع جفوني نحو السماء
أراها تميدُ بطورِ الوقع
أعوذُ بِربِّي شرّ الإناث
عسلٌ ولكن بُدّ اللسع
لا، لستُ يوسف لكيد النساء
ولا أنتِ زليخة وعندك تَبع
وماني سجينٌ بقصرِ العزيز
وَلات أصابع تُقطّع قِطع
يباغتُ في غَفلة جفو الكلام؛
تمادِي دلالٍ، بِعُمق الوَقع
فَقالت لي كَنسل لعنك الإله
يا شخصَ مُدمِن زُهد وَوَرَع

بِجامة

فيكِ من صَفو الحمامة
وفاكِ أجمل ابتسامة
ثغر ... من نفح العبير
فمّ، أبيض من غَمامة
فأمطري فيني غياثك
ريق يسطو، لا كَمامة
ففيكِ لا أُدرك حلاله
وفاكِ أنسى ما حرامه

وإن طلبتي منِّي شعرًا
فالشعر ... يطلُبُكِ، مَرامه
وإن سَلبتي فؤادي جَبرًا
في حِلّ أنتِ ... يا غرامه
وإن رَكزتي هواك سَهمًا

فَالحُبّ ... نعشقها سِهامه

وإن أردتي مِنّي طيشًا!

فانزعي عنكِ البِجامة

صابرين

صابرين
آه يا عبق الطفولة ... آه يا أعذب السنين
كم لعبنا في زوايا البيت، هلّا أما زلتي تذكري؟
وَمشينا، وَركضنا
وسقطنا متعبين
وشربنا وأكلنا
خوخ فاكهةٍ وتين

كم بقايا في خيالٍ ... لطيف أحداقك، رهين
وكم حفِظتُ جنّة الخدّين يوم كُنتِ تضحكين
وإن ضَحكتِ
فَجُلّ أسراب المآسي تحت حُجرك ... مُهطعين

إنني لا زلت أذكر
وإنني لا زلت صابر
فهلّ لا زلتي تذكرين؟

طيفُكِ العالق ببالي
مثلَ نجمٍ لا يُطالِ
آه كم حزّت فنفسي وقُلتُ: لو عادت ليالي
ما ارتحلت
ما زهدت
كُنتُ أمسكتُ الأيادي ... كُنت قبّلتُ الجبين
ومن حَمَارِ الثَغرِ كم قَطفتُ باقتين
وحين لا أفتَر ثواني
لأنّ فِي لَحظِك معاني
بها؛ أشدُّ خَلقِ الله
كان محبوبك ضنين

فها قد ذهبتي وبين رَحلك
وبقائي قابع الذكرى سجين :
تناقض
خَلّف إحساسًا مُشوّه
سُب موقِفنا الهجين
ورغم ذلك
إنني لا زلت أعشق
فهل لا زلتي تذكرين؟

صابرين
وإن طغى شكٌ
فتكفيني يقين
صابرين
والغَفل موتٌ
وفي فيائك
أُكسُجِين
صابرين

من بزوغ العمر
وذا محلك، لُبّ صدري
تستوطنين

صابرين
وإن أصابتنا مصيبة
بغير الله ... بمن نلوذُ ونستعين
عَلّها تُخلِفها بُشرى
وَيُبشَّر صابرين
بصابرين

خاتمة

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك ربي وأتوب إليك